فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

المنار

سنة ١٣١٥

يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى «ومنارا» كمنار الطريق

٢٩ جمادى الاولى سنة ١٣٤٨هـ ١٠ برج العقرب سنة ١٣٠٩هش ١ نوفمبر سنة ١٩٢٩

تفسير القرآن الحكيم

(تفسير سلفي أثري عصري [illegible] سياسي)

(٢٣) يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء
إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم
الظالمون (٢٤) قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم
وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون
كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد
في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم
الفاسقين

قد علم مما تقدم أنه لما أعلن الله تعالى براءته وبراءة رسوله من المشركين وآذنهم بنبذ عهودهم وبعودة حالة القتال بينهم وبين المؤمنين كما كانت ، بعد أن ثبت بالتجربة أنهم لا عهود لهم يوفى بها ، ولا أيمان يبرونها ، بل يعقدونها عند الخوف ، وينقضونها عند الشعور بالقدرة على الفتك - كما تقدم شرحه مفصلا - عز ذلك على بعض المسلمين ، وفتح به باب لدسائس المنافقين وتبرم ضعفاء الإيمان ، وكان أكثرهم من الطلقاء الذين أعتقهم النبي ﷺ يوم فتح مكة كان هو السبب لما تقدم من تكرار الأمر بقتال المصرين على الشرك ، الناقضين العهود توكيده ، وإقامة الدلائل على وجوبه ، وكونه مقتضى الحق والعدل والمصلحة ، وإنما كان موضع الضعف من بعض المسلمين في ذلك لحمة القرابة ، ورحمة الرحم ، وبقية عصبية النسب ، إذ كان لايزال الكثير منهم أولو قربى من المشركين يكرهون قتالهم ، ويتمنون إيمانهم ، ويرجونه إذا تركوا وشأنهم ، بل كان لبعض ضعفاء الإيمان منهم بطانة ووليجة منهم ، فبعد أن بين الله تعالى لهم ما تقدم مما أشرنا إليه آنفا وقفى عليه بفضل الإيمان والجهاد والهجرة على ما يفتخر به من أعمال المشركين حتى ما كان منها خيراً في نفسه كسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام - بعد هذا - بين لهم أن ما ذكر من فضل الإيمان والهجرة والجهاد وما بشر الله به أهله من رحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم ، لايتم إلا بترك ولاية الكافرين ، وإيثار حب الله ورسوله والجهاد في سبيله على حب الوالد والولد ، والأخ والزوج والعشيرة والمال والسكن ، فقال

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ﴾ أي لا يتخذ أحد منكم أحداً من أب أو أخ وليا له ينصره في القتال ، أو يظاهر لأجله الكفار ، بأن يتخذه بطانة ووليجة يخبره بأسرار المؤمنين ، وما يستعدون به لقتال المشركين ، كما علم في هذا السياق من آية (١٦ أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة) ﴿ إن استحبوا الكفر على الإيمان ﴾ أي إن أصروا على الكفر وآثروه على الإيمان بالحب

وما يقتضيه هذا الحب من قتال المؤمنين وعداوتهم ، كما علم من شأنهم منذ ظهر الاسلام إلى نزول هذه السورة بعد فتح مكة ولا سيما جموعهم في حنين الآتي ذكرها . وقد علم من قبل فتحها ان حاطب بن أبي بلتعة وهو من أهل بدر قد استحكمت نعرة القرابة فكتب إلى مشركي مكة سراً يعلمهم فيه بما عزم عليه النبي ﷺ من قتالهم ليتخذ له بذلك يداً عندهم يكفون بها عن حماية ما كان له عندهم من قرابة ، وفي ذلك نزلت سورة الممتحنة في نهي المؤمنين عن موالاة أعداء الله وأعدائهم وعن موادتهم ، فراجع فكل ما فيها من تعليل وتقييد للنهي عن الود والموالاة فهو معتبر هنا ، وقيل إن هذه الآية نزلت في قصته ، وقيل فيما تقدم من امتناع العباس من الهجرة لما دعي اليها ، وقيل في كل من ثقلت عليه الهجرة عندما دعوا اليها ، ولا يصح من ذلك شيء ، وقيل في الذين شكوا انما أوجبته هذه السورة من البراءة من المشركين ونبذ عهودهم واستنكاره ، والصواب ما تقدم من نزولها مع ما قبلها وما بعدها ، وانهم استثقلوا ذلك ولا يصح انهم شكوا منه

﴿ ومن يتولهم منكم [illegible] ﴾ أي ومن يتولهم منكم والحالة ما ذكر فأولئك المتولون لهم هم الظالمون [illegible] الراسخون فيه بوضع الولاية في موضع البراءة والود في محل العداوة ، دون من لم تستخفه نعرة القرابة وحمية الجاهلية النسبية إلى أن تحمله على ولاية أعداء الله ورسوله والمؤمنين بنصرهم ومظاهرتهم في القتال وما يتعلق به . فهو بمعنى قوله تعالى في سورة الممتحنة (٦٠ : ٨ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين (٩) إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) فهذا النهي عن ولاية الحرب والنصرة للكافرين المحاربين لنا لاجل ديننا . ومثله النهي عن تولي أهل الكتاب في سورة المائدة (٥ : ٣٥) وقوله فيها (ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) فالظلم في الآيات الثلاث واحد والولاية واحدة ، وذكر بعض المفسرين ان ابن عباس فسر الظلم في آية براءة بالشرك لان متولي القوم منهم كما قال ابن جرير في آية المائدة وانما يتحقق هذا في الولاية التامة دون مثل ما فعل حاطب متأولا

ثم انتقل من بيان هذه الدركة من الاخلال بحقوق الايمان ومقتضياته الى الدركة التي من شأنها أن تكون سبباً لها فقال ﴿ قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ﴾

وجه الله عز وجل الخطاب في النهي عن الجريمة الكبرى وهي ولاية الكافرين المعادين لله ورسوله الى المؤمنين بعنوانهم مباشرة ، ثم أمر رسوله ﷺ أن يخاطبهم في أمر الجريمة الثانية والوعيد عليها على فرض وقوعها منهم ، ولم يشأ أن يعطف هذا على ما قبله فيكون خطاباً منه بعنوان صفة الايمان المنافي لمضمونه ولذلك عبر عنه باداة الشرط التي من شأن شرطها أن يكون مشكوكاً في وقوعه أو من شأنه أن لا يقع وهي « ان » ولم يرتب هذا الوعيد على أصل حب ما ذكر في الآية من مجامع حظوظ الدنيا ولذاتها لانه [illegible] الحظوظ والشهوات الدنيوية في الحب على حب الله ورسوله [illegible] بما تقدم آنفاً من أنواع السعادة الابدية في الآخرة [illegible] تكميل كالجهاد هنا . وذكر الابناء والازواج هنا دون آية النهي عن الولاية لان من شأن الانسان أن يتولى في الحرب من فوقه كالاب ومن هو مثله كالاخ ، دون من هو دونه ومن شأنه أن يكون تابعاً له كابنه وزوجه ، ولكنهما في المرتبة الاولى في الحب والثانيين مراتب هذه الاصناف الثمانية في الحب وتفوقها بمعنى حب الله ورسوله ، وكون المؤمن الصادق لا يؤثر عليهما شيئاً منها ، ولا يعلو حبهما عنده حب شيء سواهما :

(١) حب الابناء للآباء له مناشيء من غرائز النفس وشعورها وعواطفها وعوارفها ومعارفها وطباعها ، ومن عرف الاقوام وآدابهم الاجتماعية وشرائعهم ودينهم ، فالولد بضعة من ابيه يرث بعض صفاته وطباعه وشمائله من جسدية ونفسية وعقلية ، وأول شيء يشعر به وينمي في نفسه بنماء تمييزه وعقله ، إحسان والديه اليه، واقتران صورتهما في خياله بكل محبوب له . ويتلو هذا الشعور به بما عليه من الحنان والعطف والحدب عليه والحب الخالص له الذي لا يشوبه رياء ولا تهمة — والوالدة

القدح المعلى في هذين — وبفوقها الوالدين يحدث الولد بعد هذا من شعور الاعجاب بالعظمة والكمال والقدرة وهو من الغرائز ، والطفل يشعر بأن أباه أعظم الناس وأحقهم بالاجلال والتعظيم . وهذا الشعور إما أن ينمي ويزداد في الكبر إذا كان الوالد مستحقاً له ولو من بعض الوجوه ، وإما أن يضعف ، ولكنه قلما يزول عيناً وأثراً وإن كان في غير محله . وقد كان العرب يتفاخرون بآبائهم في أسواقهم وفي مواسم الحج حتى قال الله تعالى (٢: ٢٠٠ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً) ويلي ذلك شعور عزة الحماية والصيانة لهم والدفاع عنهم والانتقام لهم إذا ضيم ، وفوق هذا شعور الشرف فهو يشرف بشرفه ويحتقر بضعته وخسته . فإن أهين بقول أو فعل ترتجف أعصابه ويتبيغ دمه ، ولا يكاد يهدأ ثائره الا بالانتقام له .

ثم بعد هذه الانواع من الشعور والغرائز ملكات تعليمها الحقوق العرفية والآداب الاجتماعية والشرائع الدينية ، فالله تعالى قد قرن الاحسان بالوالدين بتوحيده وعبادته وحده بمثل قوله (١٧: ٢٣ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً) الخ وقرن شكرهما بشكره في قوله (٣١: ١٤ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير) وأمر بمصاحبتهما بالمعروف وإن كانا مشركين مع نهيه عن طاعتهما اذا دعواه إلى الشرك فقال (١٣ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً)

فهذه مجامع نوازع حب الولد الوالد ، والوالدة تفوقه في بعضها وتتخلف عنه في بعض . ولما كان الوالدون هم الذين يقاتلون ويحتاجون الى الموالاة والمناصرة دون الوالدات اقتصر على ذكرهم ، تبعاً لنهيه عن موالاتهم ، لأن موالاتهم لهم من قبيل طاعتهم في الشرك الذي نهاهم عنه ، ونصر الشرك وأهله لأجل شركهم ، بل اتفق العلماء على أن الرضاء بالكفر كفر ، فكيف بنصر الكفر على الايمان بموالاة الكافرين ونصرهم على المؤمنين ، ولكنه لم ينههم عن حب آبائهم المشركين بل حذرهم أن يكونوا أحب اليهم من الله ورسوله وجهاد ما في سبيله لأن هذا لا يجتمع مع الايمان الصحيح كما سيأتي ، كذلك نهاهم في سورة المجادلة عن موادة من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم او اخوانهم او عشيرتهم اذا كانت لاجل المحادة كما يفيده

ترتيب النهي على فعلها ، فإن الموادة هي المعاملة الحبية ، والمحادة شدة العداوة والبغضاء ، فاشتراك المؤمن المحب لله ورسوله مع المحاد لله ولرسوله في الموادة المرتبة على صفتيهما جمع بين الضدين ، فهو في معنى ما قبله بل أخص منها

(٢) حب الآباء للابناء يجمع تلك الناشئ الغريزية والطبيعية ، وانواع الشعور والعواطف النفسية ، وبعض تلك الحقوق العرفية والآداب الاجتماعية والاحكام الشرعية لاجميعها ، ولكن حب الوالد لولده آخر وأقوى وآتى وأبقى من عكسه ، وهو أشد شعوراً بمعنى كون ولده بضعة منه ، وكون وجوده مستمداً من وجوده ، ويشعر ما لايشعر من معنى كونه نسخة ثانية منه يرجى لها من البقاء ما لا يرجى للنسخة الاولى ، فهو يحرص على بقائه كما يحرص على نفسه أو أشد ، ويحرم نفسه من كثير من الطيبات إيثاراً له بها في حاضر أمره ومستقبله ، ويكاد الاعم الاغلب يرتكب الصعاب وكثير ما يقترف الحرام في سبيل السعي والادخار له ، وقد بينا في تفسير (٦ : ١٥١ قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً) الآية أن عاطفة البنوة وغريزتها من أقوى غرائز الفطرة [illegible] بشؤون الولد من التربية والتعليم وما بعدهما [illegible] في الاستقبال ، وكونه مناط الآمال ، قال الله تعالى (١٨ : ٤٦ المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً) قالوا المعنى أن الاعمال الصالحة التي يبقى ثوابها للانسان بعد الحياة الدنيا خير من زينة المال فيها ثواباً ، وخير من البنين فيها أملاً ، فهو نشر على ترتيب اللف . وقد بينا اسباب حب الآباء للبنين بالتفصيل في تفسير (٣ : ١٣ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين) الخ [1]

(٣) حب الاخوة يلي في المرتبة حب البنوة والابوة ، والاخوان صنوان في دوحة الرحم ، وللاخ الصغير كالولد ، والكبير كالوالد ، ويختلطان عنهما بشعور المساواة في المنبت وطبقة القرابة ، وقد يماري فيه بعض الذين أفسدت فطرتهم نزعات الفلسفة المادية فيزعمون أنه من التقاليد العادية لامنشأ له من غرائز النفس ولا مقتضيات الطبع ، بل يقول بعضهم إن عداوة الاخوة أعرق في الغريزة من محبتها ، ويستدلون عليه بما ورد في الكتب

(١) براجع في ص ٢٤١ ج ٣ تفسير

الاقية من قتل أحد ولدي آدم لأخيه في أول النشأة ، وعهد سلامة الفطرة من تأثير التنازع في شؤون الحياة ، ومن فعلة إخوة يوسف به وهم من أسلم الناس أخلاقاً وخيرهم وراثة

والحق فيما قصه علينا الوحي من قتل قابيل لأخيه هابيل انه بيان لما في استعداد البشر من التنازع بين غرائز الفطرة بالتعارض بين عاطفة وشيجة الرحم وحب العلو والرجحان والامتياز على الاقران في رغائب النفس ومنافعها ، وما قد يلد من الحسد وما قد يتبع الحسد من البغي والعدوان . فضرب الله لنا مثلا لبيان هاتين الحقيقتين ليرتب عليه بيان كون غريزة الدين بل هدايته هي المهذبة للفطرة البشرية بترجيح الحق على الباطل والخير على الشر ، فكان قابيل مثلا لمن غلبت عليه الغريزة الثانية وهابيل مثلا لمن غلبت عليه الاولى بترجيح هداية الدين ، وذلك قوله تعالى حكاية عنه ٥: ٣١ لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين ٣٢ إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين) والدليل على محبة الاخوة ووشيجة الرحم في نفس قابيل وتنازعها مع حب العلو والرجحان على أخيه أو مساواته وحسده لتقبل قربانه دونه قوله تعالى (٣٣ فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين) ان التعبير عن ترجيح داعية الشر المتولدة من الحسد العارض على عاطفة حب الاخوة ورحمة الرحم « بالتطويع » من أبلغ تحديد القرآن لدقائق الحقائق باللفظ المفرد فان من صيغة التفعيل التكرار والتدرج في محاولة الشيء ، كترويض الفرس الجموح وتذليل البعير الصعب ، فهي تدل على أن قابيل كان يجد من نوازع الفطرة في نفسه الامارة بالسوء مانعاً يصدها عما زينه له الحسد من قتل أخيه ، وانها مازالت تأمره وبعصيها حتى حملته على طاعتها بعد جهد وعناء . وقد شرحنا هذا المعنى شرحا واسعاً في تفسير الآيات (ص ٣٤٥ ج ٦ تفسير)

وقد وقع مثل هذا الحسد من إخوة يوسف : كبر عليهم اقبال أبيهم يعقوب بكل وجهه وكل نفسه على هذا الابن الصغير الذي لم يبلغ أن ينفعه او ينفع الاسرة بخدمة ولا حماية ولا غيرهما من مواضع آمال الآباء في الابناء ، واعراضه عنهم

على قوتهم وقيامهم بكل ما يحتاج اليه الاب والاسرة ، فزين لهم الحسد أن يقتلوه او يغربوه ليجتمع الشمل ويخلو لهم وجه أبيهم بالاقبال عليهم، ويكونوا بذلك قوما صالحين بزوال سبب الشقاق والفساد فيهم ، ولكنهم بعد التشاور رجحوا تغريبه وإبعاده عن أبيه عند ما أشار به بعضهم ، ولولا عاطفة الرحم وهداية الدين لما رجحت العشرة رأي الواحد في ترك قتله ولماذا تحفظ هذه الوقائع الشاذة وتنسى الامر الغالب الاعم وهو توادّ الاخوة وتعاونهم وتناصرهم بباعث الغريزة ولوازمها ، ومنه ما كان من إحسان يوسف إلى اخوته ثم عفوه عنهم ثم معيشته معهم ؟

بعد هذا أذكّر القارىء الذي أطال عليه فساد الافكار المادية الغربية بعداوة الاخوة للجهل بالدين والحرمان من هدايته، بما هو معهود في هذه البلاد من إهمال تعليمه وتربيته ـ أذكره بما لا يستطيع العالم المادي إنكاره او المكابرة فيه من منشأ حب الاخوة في النفس ، وما تقتضيه من التعاون والتناصر في نظام الاجتماع البدوي والمدني، وهو أن المهد [illegible] النشأة عن طباعهم وغرائزهم أن المحبة [illegible] وجماعاتهم من الاشتراك في صفات النفس [illegible] والمعاشرة وفي شؤون الحياة من طبيعية واجتماعية وفي الحقوق والآداب الشرعية والأدبية، والاخوة من جملة هذه الامور ما ليس لمن دونهم من الاقارب ، بله من بعد عنهم من الاجانب، فالاخ صنو أخيه، منبتهما واحد ودمهما واحد ووراثتهما النفسية والجسدية تتسلسل من أرومة واحدة وإن تفاوتوا فيها ، وكل منهما يشعر بالاعتزاز بعزة الآخر إلا أن يفسد فطرته الحسد ويحفظ من ذكريات الطفولة والصبا ما له سلطان عظيم على النفس، وتأثير كبير في آصرة الرحمة والحب ، وما زال أهل الوسط من بيوت الناس الذين سلمت فطرتهم ، وكرمت أخلاقهم ، يحبون إخوتهم كحبهم أنفسهم وأولادهم، ويوقرون كبيرهم توقيرهم لابيهم، ويرحمون صغيرهم رحمتهم لابنائهم، ويكفلون من يترك والده صغيراً فيتربى مع أولادهم كأحدهم ، وقد تكون العناية به أشد . وما أطلت في هذا وما قبله هذه الاطالة النسبية إلا ليكون تفسير كتاب الله الذي أنزل لهداية الناس وإصلاح أمورهم مشتملا على ما يحتاجون اليه في هذا الزمان من درء مفاسد

الفلسفة المادية القاطعة للأرحام المفسدة للاجتماع

(٤) حب الزوجية ضرب خاص من شعور النفس ليس له في أنواعها ضريب ، فهو هو الذي يسكن به اضطراب النفس من ثورة الطبيعة التي تهيجها داعية النسل وغريزة بقاء النوع ، وهو الذي يتحد به بشران فيكون كل منهما متمما لوجود الآخر يتنتجان باتحادهما بشراً مثلهما ، وقد بيناه في تفسير (٣ : ١٣ زين للناس حب الشهوات من النساء) إلى آخره [1] وفي مقالات (الحياة الزوجية) من المنار (المجلد الثامن) وإنما قدمه هنالك على حب البنين لان الكلام في الآية على حب الشهوات ، وهو أقوى الشهوات البشرية على الاطلاق ، وأخره هنا لان الكلام في الحب المعارض لحب الله ورسوله والجهاد في سبيله وما يخشى من حمله على موالاة أهل الكفر في الحرب على المؤمنين ، وقلما تكون زوج الرجل معارضة له في دينه وولايته من يدين لله بولايته ، كما يعارضه أبوه [illegible] وأخوه [illegible] الحرب دون امرأته . وروعي الترتيب الطبيعي في علاقة هذه الأصناف الخمسة [illegible] ودرجات تعلقها به في الحياة على طريقة الترقي في قوله [illegible] وصاحبته وبنيه) وهذه الفروق في الترتيب [illegible] من دقائق بلاغة القرآن ، التي تندعن سلائق البشر ومعارفهم في بلاغة الكلام

(٥) حب العشيرة [2] حب عصبية وتعاون وتعزز ، وولاية ونصر في القتال ، ويكون على أشده في أهل البداوة ، ومن على مقربة منهم من أهل الحضارة ، وقد أضعف الاسلام هذا النوع من الحب والولاية بالمساواة بين المسلمين في اخوة الاسلام كما بيناه في تفسير (فاخوانكم في الدين) من الآية الحادية عشرة من هذه السورة ، وبتحريم الدعوة إلى عصبية والقتال على عصبية ، كما أضعفته الحياة الحضرية التامة التي توكل فيها حماية الافراد إلى دولة الرجل دون عشيرته وقبيلته ، وتجمع العشيرة على عشيرات كما في المصباح المنير وبه قرأ أبو بكر وعاصم

(١) يراجع في ص ٢٣٩ ج ٣ تفسير (٢) العشيرة قبيلة المرء كما في المصباح والمختار ان المراد بها من يعاشر من أولي القربى الذين من شأنهم التعاون والتناصر لأنها في الاصل مؤنث العشير وهو العاشر

(٦) حب الاموال المقترفة ـ أي المكتسبة ـ طبيعي أيضا وهو أقوى في النفس من حب الاموال الموروثة لان عناء الانسان في اقترافها يجعل لها في قلبه من القيمة والمنزلة ماليس لما جاءه عفواً كما هو مشهور بين الناس علماً وعملا، وقد بينا أسباب حب المال من حيث هو في تفسير آية آل عمران (٣: ١٣) المشار اليها آنفاً

(٧) حب التجارة التي يخشى كسادها ، يراد به والله أعلم عروض التجارة التي يخشى كسادها في حالة الحرب . وقد كان بعض المسلمين من أهل مكة تجاراً كما ورد ، وكان لدى بعضهم شيء من عروض التجارة يخشى كساده في أوقات الحرب لان أكثر مستهلكيها كانوا من المشركين ، وكانت أسواقها تنصب في أيام موسم الحج وقد منع منه المشركون بمقتضى الآيات السابقة واللاحقة من هذه السورة ، وناهيك بحب أبي سفيان وولده المال وولوعه بالتجارة ، وما كان من تأليبه المشركين على قتال النبي ﷺ [illegible] تجارته ، وقد أظهر الاسلام يوم الفتح ، ثم روي عنه أنه كان [illegible] المؤمنين يوم حنين ، فتألفه النبي ﷺ بكثرة العطاء [illegible] بقوله « من دخل دار أبي سفيان فهو [illegible]

(٨) حب المساكن المرضية طبيعي أيضاً ، فكم ممن لايملك مسكنا يأويه ، أو يملك قصرا لايرضيه ، والمراد هنا فيما يظهر والله أعلم ما كان لبعض المسلمين في مكة والمدينة من الدور الحسنة التي كانوا يرضونها للاقامة والسكنى بما فيهما من المرافق وأسباب الراحة ويكونون في مدة خروجهم الجهاد محرومين منها ـ وما كان لبعض آخر في مكة يعدونها للاستغلال في أيام الموسم اذ يظهر من طبيعة الاحوال ان ذلك قديم ، وهذا النوع يكون معطلا بمنع المشركين من الحج وهو ما بلغوه من هذه السورة

فهذه ثمانية انواع من حب القرابة والزوجية والمنافع والمرافق التي عليها مدار معايش الناس ، فقد كان من شأنها أن تجعل القتال مكروها فوق الكره الذي تقتضيه ذاته الوحشية ومايلزمه من مفارقة هذه المحبوبات كلها أو بعضها ولذلك لم يشرع إلا للضرورة التي يرجح بها الاقدام عليه على الاحجام عنه ، كما قال تعالى

(٢ : ٢١٦ كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم) الآية[1] وكقوله (٢ : ٢٥٠ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض)[2] وغيرهما مما تقدم في تفسير هذه السورة وماقبلها من حكمة تشريع القتال، وكونه بحسن القصد والشروط التي يوجبها الاسلام اعظم مزيل للفساد، ومصلح لامر العباد، فراجعه ان كان غاب عنك فهو يفيد في فهم ما هنا. ورد عليه ما يجب إيثاره من حب الله ورسوله على كل حب، وتقديم كل جهاد في سبيله على كل منفعة في الارض

أما حب الله تعالى — أي حب عبده له — فهو الذي يجب أن يكون فوق كل حب لانه سبحانه وتعالى هو المتصف وحده بكل ما شأنه أن يحب من جمال وكمال، وبر وإحسان، وكل من يحب وما يحب في الوجود فهو من صنعه وفيض جوده وإحسانه، ومظهر أسمائه الحسنى وصفاته، فمن الطبيعي المعقول أن يكون حب الوالد لولده وما يتضمنه من عطف وأمل، شعبة من حب واهبه، وموزع العطف والرحمة في قلب والديه له. وأن يكون حب [illegible] ربه الذي سخره له، وساقه بغريزة الفطرة [illegible] كل شيء، المربي الحق لكل حي، بسننه في الغرائز والقوى والاخلاق، وما يترتب عليها من الاعمال، وهو جل ثناؤه الخلف والعوض من كل والد ليتيمه، ومن كل ولد لابيه وأمه، ومن الطبيعي المعقول أن يكون حب الاخ لاخيه كذلك بالاولى، وكذلك حب الزوج الزوج لا يشذ عن هذه القاعدة فهو الذي خلق الزوجين الذكر والانثى، وهو الذي أودع المحبة الزوجية في الانفس، ولم يخصها بفرد معين (٣٠ : ١٩ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة) وحب العشيرة احق وأولى بالدخول في عمومها، فان الباعث عليه التعاون والتناصر بوشيجة القرابة وقد حل محلها في الاسلام ما هو أقوى وأعظم، وهو تناصر أهل الملة الكبيرة بمقتضى أحكام الشريعة، والله ولي المؤمنين وناصرهم بوجه أخص، (وما النصر إلا من عند الله) بالوجه الأعم

(١) راجع ص ٣١٧ (٢) ص ٤٨٢ و ٤٨٨ كلاهما ج ٢ تفسير

وكذلك الاموال بجميع أنواعها، ومنها عروض التجارة التي يرجى رواجها ويخشى كسادها، كلها من جوده وعطائه وتسخيره وحبها يجب ان يكون دون حبه بل هو دون ما تقدمه من الحب وان فتن بها أكثر الماديين، وكثير من الذين حرموا تهذيب الدين، فصارت أموالهم من أسباب شقائهم في دنياهم، حتى ان منهم من يبخل بها عن نفسه وأهله وولده. والمساكن دون الاموال لان صاحب المال يمكنه أن يبني منها مثل ما يفقده أو خيراً منه. وقد أغنى الله المؤمنين الصادقين عن كل ما فقدوا أو خافوا ان يفقدوا بقتالهم المشركين وعودة حال الحرب بينهما، وكذب وهم ضعفاء الايمان، وإيهام المنافقين لهم بأن الجهاد في سبيل الله سبب الكساد والخسران. وصدق وعد الله للمؤمنين باستخلافه إياهم في الارض وتمكينهم فيها وجعلهم أغنى أهلها ما داموا مهتدين به كما وعدهم في قوله (٢٤: ٥٤ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض) الخ ولو عادوا الى [illegible] الهداية [illegible] اليهم تلك الخلافة.

وان فوق جميع هذه الانواع من حبه تعالى لفضله واحسانه بالايجاد والامداد في الدنيا وتسخير قواها [illegible] لكنه يعلو ويفوقه من الثواب في الدار الآخرة [illegible] المرقة العليا. وقد بينا معناه وسببه في تفسير (٢: ١٦٥ ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله) وبينا خطأ المشركين في إشراك أندادهم معه فيه لتوهمهم انهم وسيلة اليه وشفعاء عنده يقربون من توسل بهم اليه زلفى، وكون المؤمنين أشد منهم حباً لله، لأنهم اعلم بما يحب الله به من صفات جلاله وجماله وكماله، ومن توحده بالربوبية، ومن آثارها التدبير والنفع والضر بالاسباب التي هو خالقها ومسخرها وبغير الاسباب ان شاء، وانفراده بالالوهية، وهي كونه هو المعبود الحق وحده، فحبهم إياه مجتمع ثابت كامل لاشائبة للاشراك فيه، وبينا في مقابلة هذا كون حب المشركين للانداد بسبب ذلك الاعتقاد شيئاً مقسماً على معبودات متعددة[1]

ثم ان حب المؤمن العارف لله تعالى له درجات تتفاوت بتفاوت معارفه بآيات الله في خلقه الدالة على صفات جماله وكماله، ومقدار إدراكه لما فيها من الابداع والاتقان

---

(١) راجع ص ٧١ — ٧٤ ج ٣ تفسير

كما قال (صنع الله الذي أتقن كل شيء) وقال (الذي أحسن كل شيء خلقه) وقد بينا هذا في تفسير قوله عز وجل (٣١:٣ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم) كما بينا فيه معنى حبه تعالى لعباده الموحدين المتبعين لما جاء به رسوله ﷺ من النور والهدى والفرقان. وقد جهل علماء الالفاظ والتقاليد كنه هذا الحب فأولوه كما تأولوا غيره من صفات الله تعالى وشؤونه الكمالية، توهماً منهم أنها تعارض تنزهه عن مشابهة الناس في صفاتهم البشرية، فكان حظهم من معرفة ربهم والحب التعطيل بشبهة التنزيه الذي هو معنى سلبي محض [1] ثم أعدنا بيان ما ذكر في تفسير قوله تعالى (٥٧:٥ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم) [2]

وأما حب رسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله فهو دون حبه عز وجل، وفوق حب تلك الأصناف الثانية وتقديمها على [illegible] من الخلق، كالعلماء العاملين والمرشدين الربانيين، والقادة [illegible] والساسيين، والأغنياء المحسنين، فإنه ﷺ كان المثل الأعلى [illegible] أخلاقه وآدابه وفضائله وفواضله وسياسته و[illegible] النبيين، وإرساله رحمة للعالمين، وجعل اتباعه هو الدليل على حب متبعه لله عز وجل، وجعل جزاءه عنده حبه تعالى لمتبعه، ومغفرته لجميع ذنوبه، وذلك نص آية (٣١:٣) آل عمران التي ذكرناها آنفاً

وسنزيد هذا الحب وحب الله تعالى بياناً في هذا المقام، وقد عطف عليهما الجهاد في سبيله منكراً لأنه أظهر آياتها، ونكتة تنكيره وإبهامه إفادة أن كل نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله قل أو كثر فإن تاركه لأجل حب شيء من تلك الأصناف الثانية وتفضيلها عليه يستحق الوعيد الذي في الآية. والجهاد أنواع ترجع إلى جنسين الجهاد بالمال والجهاد بالنفس والقتال نوع من أنواع الجنس الثاني ومنها أنواع أخرى علمية وعملية، فمهندس الحرب الحق العادلة مجاهد في سبيل الله وواضع الرسوم لمواطنها وطرقها كذلك الخ

(١) راجع ص٢٨٤—٢٨٧ ج ٣ تفسير أيضاً (٢) راجع ص٤٣٨ ج٦ وقد كتب في حرف ح من فهرسه ص٣٣٨ وهو غلط

وإذا كان الأمر كذلك — وهو كذلك — فلا ريب أن من كان ما ذكر من الاصناف الثمانية كلها أو بعضها أحب إليه من الله ورسوله وجهاد في سبيله فهو غير تام الايمان أو غير صحيحه كما تشير إليه آية المائدة [٥ : ٧٥] التي استشهدنا بها آنفا . فقوله عز وجل (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) وعيد أبهم لتذهب أنفسهم فيه كل مذهب ، وأقرب ما يفسر به قوله في وعيد المنافقين من هذه السورة [٩ : ٥٢ قل هل تربصون بنا إلا احدى الحسنيين ؟ ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا) وما كان أولئك الذين يؤثرون حب أهليهم وأموالهم على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله إلا من المنافقين ، فهم الذين كانوا يثبطون المؤمنين عن الجهاد ويوحون إليهم زخرف الاعتراض على نبذ عهود المشركين ، وإعلان حالة الحرب بينهم وبين المؤمنين كما بيناه مرارا . وما روي عن مجاهد أن المعنى حتى يأتي الله الأمر بالهجرة وأن هذا كله كان قبل فتح مكة ـ فما أراه يصح عنه وقد تقدم نقل الاتفاق على نزول هذه الآيات [illegible] السورة جلها أو كلها) بعد فتح مكة وغزوة حنين وتبوك وثانيها [illegible] في موسم سنة تسع بعد سقوط فريضة الهجرة بنص حديث [illegible] استنفرتم فانفروا » رواه البخاري من حديث [illegible] وفي مواضع أخرى بلفظ « بعد الفتح » من حديث ابن عباس (رض) والوعيد هنا على ترك الجهاد دون الهجرة

﴿ والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ الفسق في اللغة خروج الشيء أو الشخص عما كان فيه أو عما من شأنه أن يكون فيه بحسب الخلقة أو العرف أو الشريعة قال في المصباح ويقال أصله خروج الشيء من الشيء على وجه الفساد ، يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرها وكذلك كل شيء خرج عن قشره فقد فسق قاله السرقسطي ، وقيل للحيوانات الخمس فواسق استعارة وامتهانا لهن لكثرة خبثهن وأذاهن حتى قيل يقتلن في الحل وفي الحرم وفي الصلاة ولا تبطل الصلاة بذلك اهـ [1] وهو في الاستعمال الخروج من حدود الدين والشريعة بالكفر

(١) يشير الى حديث « خمس فواسق تقتلن في الحل والحرم : الحية والغراب الابقع والفأرة والكلب العقور والحديا » رواه مسلم والنسائي من حديث عائشة والحديا بتشديد الياء تصغير الحدأة . ورواه ابو داود من حديث أبي هريرة وفيه الغراب دون الحدأة وأحمد من حديث ابن عباس وفيه العقرب وليس فيه الحدأة

الخروج من الملة او فيما دونه من الكبائر، وفي اصطلاح الفقهاء تخصيصه بالاخيرة وقد يستعمل في القرآن بمعنى الخروج من سلامة الفطرة إلى فساد الطباع ومن نور العقل الى ظلمة الجهل والتقليد كما بيناه في تفسير (٢: ٩٩ ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون)[1] بحيث يكون متمرداً لا يقبل هداية الدين ، والمعنى هنا : وقد مضت سنة الله تعالى في القوم الفاسقين المارقين من الدين بعد معرفته كالمنافقين أن يكونوا محرومين من الهداية الفطرية التي يعرفها الانسان بالعقل السليم والوجدان الصحيح، فلا يعرفون ما فيه مصلحتهم وسعادتهم من اتباعه، فيؤثرون حب القرابة وللمنفعة العارضة كالمال والتجارة على حب الله ورسوله والجهاد المفروض في سبيله ، ويصح تفسيره بما يقابله وعكسه فيقال وقد مضت سنته تعالى في القوم الفاسقين من عبط الفطرة السليمة ونور العقل الراجح اتباعاً للهوى او التقليد أن يحرموا من [illegible] هداية الدين فلا يعقلونها ، وأهمها العمل بما في إيثار حب الله ورسوله والجهاد في سبيله من الصلاح والاصلاح ، والفوز [illegible] الاتحاد بين المؤمنين من إزالة الخرافات الشركية [illegible] مامن ثبات الملك

وصل في كمال حب الله ورسوله وطريق اكتسابه

من رحمة الله تعالى في دين الفطرة أنه لم يذم حب الاهل والاقارب والازواج، ولا حب المال والكسب والاتجار، ولم ينه عنها وانما جعل من مقتضى الايمان إيثار حب الله ورسوله على حب ما ذكر ، وكذلك الجهاد في سبيله إذا وجب، كما كانت الحال بين المؤمنين والمشركين وتقدم شرحها في تفسير هذه السورة وغيرها وهذا منتهى التسامح في الدين دون تكليف بغض ما ذكر، فكيف وقد أباح الاسلام معه بر المخالف في الدين والعدل والقسط في معاملته في سورة الممتحنة (٦٠ : ٨ و ٩) وتقدم الاستشهاد به في آخر تفسير الآية السابقة ، وخاطب المؤمنين في سورة آل عمران بقوله بعد النهي عن اتخاذ بطانة من الكفار الذين

(١) راجع ص٣٩٥ ج أول

لا يألونهم خبالا الخ (٣ : ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم) وأباح لهم نكاح الكتابيات على مافطر عليه القلوب من حب الزوجية وقوله (وجعل بينكم مودة ورحمة)

ومن الاحاديث في الحب المشروح في الآية مارواه الشيخان في صحيحيهما — وكذا الترمذي والنسائي — من حديث أنس مرفوعاً «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان : ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما — وأن يحب المرء لايحبه الا لله — وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار» ومارواه الشيخان من حديث أنس أيضاً «لايؤمن أحدكم حتى اكون احب اليه من والده وولده والناس أجمعين» ومارواه البخاري من حديث عبد الله بن هشام قال كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب فقال له عمر : يارسول الله لأنت احب إلي من كل شيء الا نفسي التي بين جنبي ، فقال النبي ﷺ «لا والذي نفسي بيده حتى اكون احب اليك من نفسك» فقال له عمر : فانه الآن والله لأنت احب الي من نفسي فقال له النبي ﷺ «الآن يا عمر»

وقد حملوا هذه [illegible] أن المراد حب الطبع الذي لايملكه الانسان [illegible] الاجلال والعبادة والاجلال شرطاً وشطراً من الايمان بالله وبرسوله صلوات الله وسلامه عليه . وأما صيرورته وجدانا من قبيل حب الطبع ، وغلبته على حب كل شيء ، حتى النفس ، فهو كمال لايحصل الا بعد الرسوخ في الايمان وهو ليس ببعيد فكثير من العشاق للحسان يصلون الى هذه الدرجة ، وأكثر هؤلاء الحسان غير أهل لعشر هذا الحب لولا أنه من أمراض النفس ، فأين منه حب من هو مصدر لكل جمال وكمال وحسن وإحسان ، يتجلى في كل ماعرف البشر من نظام الاكوان وهم لم يعرفوا منه الا القليل

والطريق الى هذه المعرفة والحب كثرة الذكر والفكر ، وتدبر القرآن مع التزام سائر أحكام الشرع ، وانما الذكر ذكر القلب ، مع حسن النية وصحة القصد ، وتأمل سننه وآياته في الخلق ، بأن تذكر عند رؤية كل حسن وجمال وكمال في الكون انه من الله عز وجل ، وأن تذكره عند سماع كل صوت من ناطق مفهوم ، وصامت معلوم ، كخرير المياه ، وهزيز الرياح ، وحفيف الاشجار ، وتغريد الاطيار ، وكذا نغمات الاوتار ، وتتذكر أنها

تسبيح بحمد الله، ومن صنع الله الذي أتقن كل شيء، كما قال تعالى في تسبيح نبيه داود عليه السلام في زبوره (٣٨: ١٧-١٩ إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق * والطير محشورة كل له أواب)

والمحفوظ عند أهل الكتاب في خاتمة الزبور وهو المزمور المائة والخمسون: « سبحوا الله في قدسه، سبحوه في فلك قوته، سبحوه على قواته، سبحوه بصوت الصور، سبحوه برباب وعود، سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار، سبحوه بصنوج التصويت، سبحوه بصنوج الهتاف، كل نسمة فلتسبح الرب، هللويا » اهـ

وفي المزامير كثير من هذه التسابيح في المعازف وكان من شريعة موسى عليه السلام، ولكنه ليس من ديننا وشعائر شريعتنا، والتحقيق أن شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا، ولم يأذن الله تعالى لنا أن نحدث شيئاً في ديننا بآرائنا وأهوائنا، وهو قد أكمل لنا الدين، وبلغنا رسوله ﷺ أن « كل بدعة ضلالة » وقال « من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد » متفق عليه، وقد ابتدع بعض الصوفية إدخال المعازف والرقص في ذكر الله [illegible] وإنما الذي نطق به كتاب الله، إثبات تسبيح كل شيء لله، قال تعالى (١٧: ٤٤ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم)

فالذي ينبغي لنا أن نستفيده من ذلك أن نذكر في قلوبنا عند رؤية كل شيء من صنع الله، وسماع كل صوت من مخلوقات الله أنه يسبح بحمد الله، بدلالته على تنزيهه عما لا يليق به، وعلى قدرته وحكمته ومشيئته ورحمته، وأن لها تسبيحاً آخر غيبياً لا نفقهه بحسنا لأننا لا ندرك حياتها (راجع ص ٤٠٠ ج ٧) وقد يكون إدراكه ثمرة روحية لمن زكت أنفسهم بذكر الله وتسبيحه، وخرجوا به من ظلمات الأهواء والشهوات إلى نور قدسه، (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً * وسبحوه بكرة وأصيلا * هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما)

ومن أقام فرائض الله تعالى كما أمره، وترك معاصيه كما نهى، وداوم على

التقرب اليه بالنوافل كالذكر وأكثر من ذكره كما أحب ، فإنه يصل بفضل الله إلى المقام الذي أشار اليه الحديث القدسي « وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها » الحديث ، تفرد به البخاري وفي سنده كثير غرابة

ومن المعلوم بالبداهة أن ذات الله تعالى لا تكون صفة أو عضواً لغيره — ولا ذات المخلوق أيضاً — وإنما المعنى المتبادر من الحديث أنه تعالى يكون هو الشاغل الأعظم لسمع من أحبه إذا سمع وبصره إذا أبصر الخ وله مراتب (أولها) أنه لا يوجه سمعه إلا لما يعلم أنه يحبه ويرضيه (ثانيها) أنه يذكره تعالى بقلبه ولسانه عند كل إدراك وكل عمل فيزداده معرفة وعلماً ، وهو ما كان موضوع كلامنا في الباب آنفاً (ثالثها) أنه يكون موضوع عناية الله وتصرفه فيما يسمعه [illegible] (ولو [illegible] فيهم خيراً لأسمعهم) أي أنه تعالى يخلق له علماً [illegible] بما يسمعه [illegible] صفاته وسننه في خلقه ما لم يكن يعلمه فيطالبه وقصته [illegible] الأولين الكسبيين (رابعها) [illegible] نفسه ، والشعور بإرادته وحده ويبقى له الشعور بأعظم من مظاهر بعض صفات ربه ، وموضع تجلي ما شاء من أسمائه وصفاته ، حتى يكون عز وجل هو الغالب على أمره ، كما قال تعالى في يوسف عليه السلام (والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وهذا الفناء والشعور لا يحصل لمن صار من أهله ، بقطع المراحل والتنقل في المراتب التي من قبله ، إلا اللمحة بعد اللمحة ، والفينة بعد الفينة ، وهذه المرتبة هي وحدة الشهود ، وما يذكرونه من مرتبة وراء هذه تسمى وحدة الوجود وهي عبارة عن كون وجود الخلق عين وجود الحق ، وكون ذات العبد هي ذات الرب ، أو لا عبد ولا رب ، وما ثم إلا شيء واحد له مظاهر وأطوار ، كظهور الماء في صور الثلج الجامد والسائل والبخار ، وقد يحتجب بالانحلال الى عنصرية (الاكسجين والادروجين) عن الابصار ، فهذه فلسفة مادية باطلة ، اخترعتها مخيلات صوفية البوذية والبراهمة ، وهي كفر بالله ، وخروج من ملل جميع رسل

الله ، وقد فتن بها بعض صوفية السلفيين ، ولهم فيها من الشعريات المنظومة والمنثورة ، وتأويل بعض الآيات والأحاديث المأثورة ، ما أضل كثيراً من الناس بهم وبها ، كما أضل آخرون بالفلسفة العقلية والطبيعية والاعجاب بأهلها ، وقد كشف شبهات الفريقين وفندها بالأدلة العقلية والنقلية شيخ الاسلام ابن تيمية وبين تلميذه المحقق ابن القيم حقائق التصوف الموافقة للكتاب والسنة في كتابه (مدارج السالكين) الذي شرح به كتاب (منازل السائرين) تأليف شيخ الاسلام في الحديث والتصوف أبي اسماعيل الهروي قدس الله أرواحهم أجمعين

وانما ثم فائدة هذا البحث بالتنبيه الى أكبر الاسباب لزيغ بعض الصوفية عن صراط الكتاب والسنة النبوية ، مع اعتراف جميع أئمة شيوخهم بأنهما أصل طريقتهم ، والبحر الذي تستخرج منه جميع درر حقائقهم ، وهو أن من اشتغل بكثرة ذكر الله التي هي أقرب الطرق إلى معرفة الله وحده يحصل له في أثناء ذلك من كشف أسرار الكون [illegible] بحسب قوة نفسه وبخواطره وذوقه ، فيتوهم أن [illegible] كما يفتتن المشتغلون بالفلسفة النظرية بما [illegible] من النظريات في حقيقة الموجودات فيظنون أنها حقائق أثبتها العقل ، وكل من الفريقين المفتونين يظن أن ما عنده هو الحقيقة ، وإن خالف نصوص الشريعة ، فاما أن يتركها فيكون من الكافرين ، وإما أن يتأولها فيكون من المبتدعين ، والحق ان كلاً منهما مخطيء ومصيب ، وأن كلامهم يناقض بعضه بعضاً حتى ما يسمونه كشفاً أو تلقياً من ملك الالهام ، أو من النبي (ص) في اليقظة أو النام . وقد أبطلت العلوم العصرية أصول فلسفتهم المادية والروحية

والصوفية الشرعيين في حب الله منازل عالية ، ومقامات راسخة ، ومعارف واسعة في حب كل شيء يحب الله ، مع إعطاء الشرع حقه فيما يبغض الله وما يحب الله ، قالت رابعة العدوية رحمها الله :

أحبك حبين حب الهوى … وحباً لانك أهل لذاكا
فأما الذي هو حب الهوى … فشيء شغلت به عن سواكا
وأما الذي أنت أهل له … فكشفك لي الحجب حتى أراكا

والذي نفهمه من هذا الشعر ان الحب الاول هو حب العبودية وهي حيرة شاغلة عن كل ما عداها ، والثاني حب المعرفة وغايته رفع الحجب الكثيرة المانعة من كمالها الى أن تكمل بكرامة الرؤية في الآخرة . وقد بينا هذا المعنى وهذه الحجب في تفسير آية الرؤية من سورة الاعراف (1) وقد روي عن الامام عبد القادر الجيلاني رحمه الله انه كان كلما ولد له ولد يكبر اربع تكبيرات كتكبيرات صلاة الجنازة ويقول ما معناه انه يعده كالميت حتى لا ينازع حبه حب الله تعالى في قلبه . وإذا أحببت ان تعرف الصحيح الشرعي من هذا الحب فعليك بمدارج السالكين للمحقق ابن القيم رحمه الله تعالى

هذا — وان لهم من المعاني الرقيقة في صفات المثل الأعلى للكمال البشري في هذه الخليقة ، والمثل الاكمل في الشريعة الشاملة للطريقة والحقيقة ، خاتم النبوة والتشريع السماوي ، ومشرق الانوار الالهية للعرفان الالهي ، الرحمة المرسلة للعالمين ، محمد رسول الله وخاتم النبيين ما يجعله في المراج الأعلى الى حب العبد لله واتباعه هو الوسيلة الوحيدة الى نيل مقام الحب من الله ، بنص (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني [illegible]) الربوبية والالوهية ، وحقيقة الرسالة التي هي [illegible] الرسول ﷺ ما لا يطلب إلا من الله ، لانهم يعلمون انه عبد لا ند لله بل لا يسألون الا الله ، كما ورد في مناقب الصديق الاكبر أنه لم يسأله صلوات الله وسلامه عليه شيئا لنفسه ولا الدعاء

واذا صح للانسان حب الله وحب رسوله وكمل فيهما صارت سائر أنواع الحب الحيواني والنفسي والمادي تابعة ومحدودة بهما حتى تغرق او تفنى فيهما ، فهو يعطي كل ذي حق حقه من الحب الشرعي الفطري ، ويسهل عليه بذل ماله ونفسه في سبيل الله ، توسلا به الى لقاء الله . وكذلك كان أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم ، وتأمل ما كان من تحريض الخنساء (رض) لأولادها على الجهاد بشعرها حتى قتلوا واحداً بعد واحد ، فقالت وهي التي يضرب المثل بحزنها على أخويها في الجاهلية : الحمد لله الذي أكرمني بشهادتهم . وما فقد المسلمون السيادة في الدنيا والاستعداد لسعادة الآخرة الا بالحب المادي لانفسهم ولشهواتهم وإيثاره على حب الله

(1) راجع ص ١٤٠ ج ٩

ورسوله الذي هو مناط سعادتهم ، والجهاد في سبيله الذي كان مناط سيادتهم ، وكان من عقابهم على ذلك ابتلاؤهم ببذل أنفسهم وأموالهم في سبيل أعدائهم . ولا يحافظ الا بتربية أنفسهم على توطينها على الموت في سبيل الله . فمن لم يتح له الموت في جهاد العدو فعليه بطلب الموت الارادي في جهاد النفس ، فلا حياة الا بعد موت ، والموت آية الحب الصادق

فإن شئت أن تحيا سعيداً فمت به ... شهيداً وإلا فالغرام له أهل

وله من العبرة في الآيات التالية ، ما يجعل هذه المعاني المعنوية مشاهد ماثلة ، والدلائل الشرعية وقائع حسية ، في آثار النبي المختار ، وإيثار الأنصار ، والفرق بين المؤمنين الراسخين منهم ومن المهاجرين ، وبين المؤلفة قلوبهم والمنافقين ، فيما كان من خذلان وهزيمة ومن نصر وغنيمة .

---

(٢٥) لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ (٢٦) ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (٢٧) ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

هذه الآيات تذكير للمؤمنين بنصر الله لهم على أعدائهم في مواطن القتال الكثيرة معهم إذ كان عددهم وعتادهم قليلا لا يرجى معه النصر بحسب الاسباب والعادة ، وابتلائه إياهم بالتولي والهزيمة يوم حنين على عجبهم بكثرتهم ورضاهم عنها ، ونصرهم من بعد ذلك بعناية خاصة من لدنه ـ ليتذكروا ان عنايته تعالى وتأييده لرسوله والمؤمنين بالقوى المعنوية ، أعظم شأنا وأدنى الى النصر من القوة المادية ، كالكثرة العددية وما يتعلق بها ، وجعل هذا التذكير تاليا للنهي عن

ولاية آبائهم وإخوانهم من الكفار ، والوعيد على إيثار حب القرابة والزوجية والعشيرة (ولو كانوا مؤمنين) والمال والسكن على حب الله ورسوله والجهاد في سبيله تقيداً لوسوسة شياطين الجن والانس - من المنافقين ومرضى القلوب - لهم وإغرائهم باستنكار عودة الحرب مع المشركين وتنفيرهم من قتالهم لكثرتهم وقرابة بعضهم ، ولكساد التجارة التي تكون معهم ، وذلك بعد إقامة الدلائل على كون ذلك من الحق والعدل والمصلحة العامة في الدين والدنيا ، وفي هذه القوة من العلم والحكم والاحكام ما ليس في غيرها وسنبين المهم منه في أثر تفسير الآيات . قال عز وجل

﴿ لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ﴾ الظاهر ان هذا الخطاب مما أمر النبي ﷺ أن يقوله لجماعة المسلمين بالتبع لما قبله وفيهم بقية من المنافقين وضعفاء الايمان ، ولم يعطف عليه لانه بيان مستأنف لاقامة الحجة على صحة ما قبله من النهي ووعيده وان الخير والمصلحة للمؤمنين في ترك ولاية أولي القربى من الكافرين ، وفي إيثار حب الله ورسوله والجهاد في سبيله على حب أولي القربى والعشيرة والمال والسكن مما يحب [illegible] ولذلك نصر الله تعالى لهم في تلك المواطن الكثيرة [illegible] ولا قوة القتال وما يأتي به من الزاد والعتاد ، وقد ترتب عليه من القوة والعزة والثروة ما لم يكن لهم مثله من قبل ، ثم ترتب عليه من السيادة والملك بطاعة الله ورسوله ما هو أعظم من ذلك فيما بعده ، ثم يكون له من الجزاء في الآخرة ما هو أعظم وأدوم . وانما ذلك من فضل الله عليهم بهذا الرسول الذي جاءهم بهذا الدين القويم .

والمواطن جمع موطن وهي مشاهد الحرب ومواقعها ، والاصل فيه مقر الانسان ومحل اقامته كالوطن . ووصفها بالكثيرة لانها تشمل غزوات النبي ﷺ وأكثر سراياه التي أرسل فيها بعض أصحابه ولم يخرج معهم . ولا يطلق اسم الغزوة - ومثلها الغزاة والمغزى - الا على ما تولاه ﷺ بنفسه من قصد الكفار الى حيث كانوا من بلادهم او غيرها

روى البخاري ومسلم في كتاب المغازي من صحيحيهما عن ابي إسحاق السبيعي انه سأل زيد بن أرقم : كم غزا النبي ﷺ من غزوة ؟ قال تسع عشرة .

وسأله : كم غزا معه ؟ قال سبع عشرة ، قال الحافظ في شرح الحديث من اول الكتاب عند قوله تسع عشرة : كذا قال ومراده الغزوات التي خرج فيها رسول الله ﷺ بنفسه سواء قاتل او لم يقاتل لكن روى ابو يعلى من طريق ابي الزبير عن جابر ان عدد الغزوات إحدى وعشرون وإسناده صحيح وأصله في مسلم . فعلى هذا ففات (١) زيد بن أرقم ذكر ثنتين منها ولعلها الابواء وبواط وكان ذلك خفي عليه لصغره اه

ثم ذكر الحافظ عن موسى بن عقبة أنه ﷺ قاتل بنفسه في ثمان : بدر ثم أحد ثم الاحزاب ثم المصطلق ثم خيبر ثم مكة ثم حنين ثم الطائف (قال) وأهمل غزوة قريظة لانه ضمها إلى الاحزاب لكونها كانت في أثرها وأفردها غيره لوقوعها منفردة بعد هزيمة الاحزاب . وكذا وقع لغيره عد الطائف وحنين واحدة لتقاربهما . فيجتمع على هذا قول زيد بن ارقم وقول جابر . وقد توسع ابن سعد فبلغ عدد المغازي التي خرج فيها رسول الله ﷺ بنفسه سبعاً وعشرين وتبع في ذلك الواقدي وهو مطابق لما عده ابن إسحاق إلا أنه لم يفرد وادي القرى من خيبر ، أشار إلى ذلك السهيلي ، وكأن الستة الزائدة من هذا القبيل ... الخ ووضح الحافظ هذا البسط من جانب وتدخل بعض المغازي المتقاربة في بعض من جانب آخر فكان خير جمع بين الاقوال

ثم قال : وأما البعوث والسرايا فعند ابن إسحاق ستا وثلاثين (٢) وعند الواقدي ثمانياً وأربعين (كذا) وحكى ابن الجوزي في التلقيح ستا وخمسين وعند المسعودي ستين ، وبلغها شيخنا زيادة على السبعين ، ووقع عند الحاكم في الاكليل أنها تزيد على مائة فلعله اراد ضم المغازي اليها . اه واختار بعض العلماء أن المغازي والسرايا كلها ثمانون

ومن المعلوم أنه لم يقع فيها كلها قتال فيقال انه تعالى نصرهم فيها كما ان من

---

(١) الصواب حذف الفاء هنا او ان يقال : ففات زيد بن ارقم على هذا الخ

(٢) كذا في النسخ المطبوعة بمصر ولعل أصله : فبلغت عند ابن اسحاق الخ وكذا يقال فيما بعده

المعلوم انه تعالى نصرهم في كل قتال إما نصراً عزيزاً مؤزراً كاملا وهو الاكثر ولا سيما بدر والخندق وغزوات اليهود والفتح ، وإما نصراً مشوبا بشيء من التربية على ذنوب اقترفوها كما وقع في أحد إذ نصرهم الله أولا ثم أظهر العدو عليهم بمخالفتهم أمر القائد الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في أمر من أهم أوامر الحرب وهو حماية الرماة لظهورهم كما تقدم تفصيله في سورة آل عمران وتفسيرها . وكما كان في حنين من الهزيمة في أثناء المعركة والنصر العزيز التام في آخرها وهو مابينه تعالى بقوله

﴿ ويوم حنين ﴾ أي ونصركم يوم حنين (١) أيضا وهو واد الى جنب ذي المجاز قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات ، هذا ما اعتمده الحافظ في الفتح وغيره وقيل إن بينه وبين مكة ست ليال وعن الواقدي ثلاث ليال . وفي روح المعاني أنه على ثلاثة أميال من الطائف . وتسمى هذه الغزوة غزوة أوطاس وغزوة هوازن . وأوطاس كما في معجم البلدان واد في ديار هوازن كانت فيه وقعة حنين للنبي صلى الله عليه وسلم ببني هوازن وعقد البخاري في صحيحه باب الغزوة أوطاس بعد سوق الروايات في غزوة حنين . وقال الحافظ في الكلام على هذه الترجمة : قال عياض هو واد في دار هوازن وهو موضع حرب حنين . اه وهذا الذي قاله ذهب اليه بعض أهل السير والراجح ان وادي أوطاس غير وادي حنين . ويوضح ذلك ما ذكر ابن اسحاق أن الوقعة كانت في وادي حنين وأن هوازن لما انهزموا صارت طائفة منهم إلى الطائف وطائفة الى بجيلة وطائفة إلى اوطاس ، فأرسل النبي ﷺ عسكراً مقدمهم أبو عامر الاشعري الى من مضى الى أوطاس كما يدل عليه حديث الباب ثم توجه هو وعساكره الى

(١) عطف ظرف الزمان على ظرف المكان جائز كعكسه كما حققه ابو علي الفارسي ومن لم يجزه يتأول مثل هذا التعبير بتقدير مضاف . وقال الزمخشري : أنه منصوب بفعل مضمر وهو معطوف على ماقبله عطف جملة على جملة وانما يصح الخلاف في اعرابه وأما استعماله فلا محل للخلاف في جوازه ولا في فصاحته وهو في القرآن

الطائف . وقال أبو عبيد الله البكري أوطاس واد في دار هوازن وهناك عسكروا هم وثقيف ثم التقوا بحنين اهـ

وقال ابن القيم في الاسمين : وهما موضعان بين مكة والطائف فسميت الغزوة باسم مكانها وتسمى غزوة لانهم هم الذين أتوا لقتال رسول الله ﷺ اهـ والاولى أن يقال انها سميت باسمهم لانها وقعت بأرضهم ولانهم هم الذين جمعوا جموع العرب من القبائل الاخرى لقتاله ﷺ وكانوا هم الموقدين لنار الحرب والمقصودين بها

وقوله تعالى ﴿ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ ﴾ بدل من يوم حنين أو عطف بيان له وحاصل معناه مع ما سبقه انه نصركم في مواطن كثيرة ما كنتم تطمعون فيها بالنصر بمحض استعدادكم وقوتكم لقلة عددكم وعتادكم ، ونصركم أيضا في يوم حنين وهو اليوم الذي أعجبتكم فيه كثرتكم إذ كنتم اثني عشر الفا وكان الكافرون أربعة آلاف فقط فقال قائلكم معبراً عن رأي الكثيرين الذين غرتهم الكثرة : لن نغلب اليوم من قلة [illegible] الذي قال هذا القول ورده الرازي بأنه [illegible] الصحيح خلافه وهو ما رواه يونس بن بكير في زيادات المغازي عن الربيع بن أنس قال قال رجل يوم حنين لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي ﷺ فكانت الهزيمة اهـ أي وقعت بأسبابها فكانت عقوبة على هذا الغرور والعجب الذي أشير اليه بالكلمة، وتربية للمؤمنين حتى لا يعودوا الى الغرور بالكثرة، لانها ليست إلا احد الاسباب المادية الكثيرة للنصرة، وما تقدم بيانه من الاسباب المعنوية في سورة الانفال اعظم[1] وقد قال تعالى حكاية عن المؤمنين الكاملين الذين يعلمون قيمة أسباب النصر المعنوية كالصبر والثقة بالله والاتكال عليه (٢ : ٢٤٨ قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) وكذلك وقعت الهزيمة بأسبابها في يوم أحد عقوبة وتربية كما تقدم في محله[2]

(١) راجع ذلك في ج ٩ وهذا الجزء مستعيناً بكلمة اصر في الفهرس العام
(٢) راجعها في ج ٤

﴿ فلم تغن عنكم شيئا ﴾ اي فلم تكن تلك الكثرة التي اعجبتكم وغرتكم كافية لانتصاركم بل لم تدفع عنكم شيئا من عار الغلب والهزيمة ﴿ وضاقت عليكم الارض بما رحبت ﴾ أي ضاقت عليكم الارض برحبها وسعتها فلم تجدوا لكم فيها مذهبا ولا ملتحدا ﴿ ثم وليتم مدبرين ﴾ أي وليتم ظهوركم لعدوكم مدبرين لا تلوون على شيء .

﴿ ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ﴾ السكينة اسم للحالة والهيئة النفسية الحاصلة من السكون والطمأنينة وهي ضد الاضطراب والانزعاج، وتطلق كما في المصباح على الرزانة والمهابة والوقار ، والمعنى ان الله تعالى افرغ من مواهب عزته وقدرته سكينته اللدنية على رسوله بعد ان عرض له ما عرض من الاسف والحزن على اصحابه عندما فوجئوا بالهزيمة فثبت على [illegible] كالطود الراسخ نفسا ولم يزدد إلا شجاعة واقداما [illegible] وقليل ما هم في ذلك الجيش اللهام كما يعلم [illegible] على سائر المؤمنين الصادقين فذهب روعهم وزال حيرتهم واضطرابهم وعاد اليهم ما كان زال أو زلزل من ثباتهم وشجاعتهم ولا سيما عندما سمعوا نداءه ﷺ ونداء العباس يدعوهم إلى تثبيتهم بأمره كما يأتي . وانما قال (وعلى المؤمنين) ولم يقل وعليكم لأن الخطاب للجماعة وفيهم بقية من المنافقين وضعفاء الايمان كما تقدم وسيأتي شواهده في الروايات الصحيحة . فيا لله العجب من هذه الدقة في بلاغة القرآن

﴿ وأنزل جنودا لم تروها ﴾ أي وأنزل مع هذه السكينة جنوداً روحانية من الملائكة لم تروها بأبصاركم ، وانما وجدتم أثرها في قلوبكم ، بما عادلها من ثبات الجأش ، وشدة البأس ﴿ وعذب الذين كفروا ﴾ بالقتل والاسر والسبي وذلك منتهى الغلب والخزي ﴿ وذلك جزاء الكافرين ﴾ في الدنيا بكفرهم ما داموا يستحبون الكفر على الايمان ويعادون اهله ويقاتلونهم عليه كما وعدكم فيمن بقي منهم بقوله من هذا السياق أو البلاغ (١٤ قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم) الآية .

ويدخل في هذا الجزاء من كان حاله مثل حال اولئك الكافرين في قتال من كان على هدي أولئك المؤمنين إلى يوم الدين .

﴿ ثم يتوب الله على من يشاء والله غفور رحيم ﴾ ثم يتوب الله تعالى بعد هذا التعذيب الذي يكون في الدنيا على من يشاء من الكافرين فيهديهم الى الاسلام ، وهم الذين لم تحط بهم خطيئات جهالة الشرك وخرافاته من جميع جوانب أنفسهم ولم يختم على قلوبهم بالاصرار على الجحود والتكذيب أو الجمود على ما ألفوا بمحض التقليد ، والله غفور لمن يتوب عن الشرك والمعاصي رحيم بهم . ونكتة التعبير عن هذه التوبة ، وما يتلوها من المغفرة والرحمة ، بصيغة الفعل المستقبل « يتوب » إعلام المؤمنين بأن ما وقع في حنين من إيمان أكثر من بقي من الذين غلبوا وعذبوا بنصر المؤمنين عليهم سيقع مثله لكل الذين يقدمون على قتال المؤمنين بعد عودة حال الحرب بينهم ، فإن من [illegible] في الاجتماع البشري ان يميز الخبيث من الطيب بمثل ذلك [illegible] الصحيحة إلا وكان عاقبتها كذلك . [illegible] دنيوية فقدوا تلك

(فصل في أصح الروايات المفسرة لإجمال هذه الآيات)

الخروج الى حنين والقتال والهزيمة

قال الحافظ في اول الكلام على هذه الغزوة من الفتح : قال أهل المغازي خرج النبي ﷺ الى حنين لست خلت من شوال . وقيل لليلتين بقيتا من رمضان . وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج في اواخر رمضان وسار سادس شوال ، وكان وصوله اليها في عاشره . وكان السبب في ذلك ان مالك بن عوف النضري جمع القبائل من هوازن ووافقه على ذلك الثقفيون وقصدوا محاربة المسلمين فبلغ ذلك النبي ﷺ فخرج اليهم ، قال عمر بن شبة في كتاب مكة : حدثنا الحزامي يعني ابراهيم بن المنذر — حدثنا ابن وهب عن ابن أبي الزناد عن ابيه عن عروة أنه كتب الى الوليد : اما بعد فانك كتبت الي تسألني عن قصة الفتح — فذكر له وقتها — فاقام عامئذ بمكة نصف شهر ولم يزد على ذلك

حتى أتاه أن هوازن ولقيفا قد نزلوا حنينا يريدون قتال رسول الله ﷺ وكانوا قد جمعوا اليه ورئيسهم عوف بن مالك . ولأبي داود بإسناد حسن من حديث سهل بن الحنظلية أنهم ساروا مع النبي ﷺ الى حنين فأطنبوا السير فجاء رجل فقال اني انطلقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فاذا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم قد اجتمعوا الى حنين فتبسم رسول الله ﷺ وقال « تلك غنيمة المسلمين غدا ان شاء الله تعالى » وعند ابن اسحاق من حديث جابر ما يدل على أن هذا الرجل هو عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي اهـ

وقد أخرج البيهقي في الدلائل حديث الربيع بن أنس المتقدم عن يونس ابن بكر وزاد فيه أنهم أي المسلمين كانوا اثني عشر ألفاً منهم ألفان من أهل مكة أقول وأما العشرة الآلاف فهم أصحابه الذين فتح بهم مكة . وفي البخاري من حديث هشام بن زيد عن أنس عبارة مبهمة بل غلط في هذا العدد قال: لما كان يوم حنين أقبلت [illegible] ومع النبي عشرة آلاف من الطلقاء [illegible] لم يخلط بينهما

فقال « يا معشر الانصار » فقالوا لبيك رسول الله نحن معك . ثم التفت عن يساره (فذكر مثل ذلك) الخ فقوله من الطلقاء غلط ، وفي رواية له: ومن الطلقاء . وهي مبهمة كما يعلم من رواية مسلم وهي « ومعه الطلقاء » الخ . ومن رواية البيهقي التي تقدمت آنفا . وهؤلاء الطلقاء كانوا ألفين . وكان حال بعض الألفين وخفة بعض الشبان هما السبب الاول للهزيمة اذ كان بعضهم منافقا أظهر الاسلام لما غلب على أمره ووطنه ومهد دينه ومعهد عزه وكبريائه ، وبعضهم ضعيف الايمان وكان النبي ﷺ يتألفهم الى أن يظهر لهم نور الاسلام وفضله بالعمل ومعاشرته ﷺ مع المؤمنين الصادقين ، ويزول ما كان في قلوبهم من ألفة الشرك وعداوة الاسلام ، حتى ان بعضهم أظهر الشماتة بل الكفر عند ما وقعت الهزيمة وكان منهم من ينوي قتل النبي ﷺ إذا أمكنته الفرصة كما يعلم من الروايات الصحيحة الآتية في القصة

وأما السبب الثاني للهزيمة فهو مثل ما سبق في وقعة أحد من ظهور المسلمين على

المشركين واقبالهم على الغنائم واشتغالهم بها عن القتال وعند ذلك استقبلتهم هوازن وبنو نصر بالسهام وكانوا رماة لا يكاد يخطىء لهم سهم

روى الشيخان وغيرهما من حديث البراء بن عازب (رض) وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكن رسول الله ﷺ لم يفر، كانت هوازن رماة وانا لما حملنا عليهم انكشفوا فأكببنا على الغنائم فاستقبلونا بالسهام ولقد رأيت رسول الله ﷺ على بغلته البيضاء وان أبا سفيان بن الحارث آخذ بلجامها ـ وهو يقول:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

وفي رواية لمسلم قال جاء رجل الى البراء فقال أكنتم وليتم يوم حنين يا أبا عمارة؟ فقال اشهد على نبي الله ﷺ ما ولى، ولكنه انطلق اخفاء من الناس وحسر الى هذا الحي من هوازن وهم قوم رماة فرموهم برشق من نبل كأنها رجل من جراد[1] فانكشفوا فأقبل القوم الى رسول الله ﷺ وابو سفيان بن الحارث يقود به بغلته فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب[2]

« اللهم انزل نصرك » قال البراء كنا والله إذا احمر البأس نتقي به وان الشجاع منا للذي يحاذي به يعني النبي ﷺ[3]

---

(١) قوله أخفاء وحسرا تشديدهما جمع خفيف وحاسر أي مستعجلون وليس عليهم دروع . ورشق النبل رمي الجماعة له دفعة واحدة والرجل من الجراد بكسر الراء الجماعة الكثيرة منه فهو كسرب الطير وقطيع الغنم

(٢) تمثله ﷺ بهذا البيت من الرجز لا يقتضي كونه شاعراً، لا لانه ليس من الشعر وأنه أقرب إلى السجع ، ولا لأن أصله لغيره خاطبه به ، ولا لقلته ولا لانه لم يقصد به الشعر كما قالوا، بل لان الشعر ملكة يقدر صاحبها على نظم الكلام بأوزان وقوافي ملازمة ملتزما فيه التخيل والايهام وضروب الاغراق والغلو وتصور الاشياء بغير صورها ، وهذه الملكة تكون بالسليقة وهي أقوى وتكون بالممارسة والصنعة ، ولم تكن له ﷺ هذه السليقة ولم يمارس الشعر ولم يظهر لها أثر في كلامه ﷺ قبل النبوة ولا بعدها (٣) احمرّ البأس: اشتد القتال، ويحاذي به يحاذيه في الاقدام

وروى مسلم أيضا من حديث سلمة بن الأكوع قال : غزونا مع رسول الله ﷺ حنينا فلما واجهنا العدو تقدمت فأعلو ثنية فاستقبلني رجل من العدو فأرميه بسهم فتوارى عني فما دريت ما صنع ونظرت إلى القوم فاذاهم قد طلعوا من ثنية أخرى فالتقوهم وصحابة النبي ﷺ فولى صحابة النبي ﷺ وأرجع منهزما وعلي بردتان متزرا باحداهما مرتديا بالاخرى فاستطلق ازاري فجمعتهما جميعا ومررت على رسول الله ﷺ منهزما وهو على بغلته الشهباء فقال رسول الله ﷺ « لقد رأى ابن الأكوع فزعا » فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب من الارض ثم استقبل به وجوههم فقال «شاهت الوجوه » فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة فولوا مدبرين فهزمهم الله عز وجل وقسم رسول الله ﷺ غنائمهم بين المسلمين اه



عدد من ثبت معه ﷺ في حنين

قال الحافظ في [illegible] عند قوله : وأبو سفيان ابن الحارث آخذ [illegible] ابن عبد المطلب عمه ﷺ ما نصه : وعند ابن أبي شيبة من مرسل الحكم بن عتيبة قال لما فر الناس يوم حنين جعل النبي ﷺ يقول « أنا النبي لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب » فلم يبق معه الا أربعة نفر ثلاثة من بني هاشم ورجل من غيرهم : علي والعباس بين يديه ، وأبو سفيان بن الحارث آخذ بالعنان ، وابن مسعود من الجانب الأيسر ، (قال) وليس يقبل نحوه أحد إلا قتل

وروى الترمذي من حديث ابن عمر باسناد حسن قال : لقد رأيتنا يوم حنين وإن الناس لمولون وما مع رسول الله ﷺ مائة رجل [1] وهذا أكثر ما وقفت عليه من عدد من ثبت يوم حنين ، وروى أحمد والحاكم من حديث عبد الرحمن

(١) الذي في نسخة الترمذي المطبوعة في الهند : وإن الفئتين لموليان ـ والباقي سواء ، وقال حديث حسن صحيح غريب من حديث عبيدالله لا نعرفه من هذا الا الوجه والمراد عبيدالله بن عمر عن نافع عن عبدالله بن عمر

ابن عبدالله بن مسعود عن أبيه قال كنت مع النبي ﷺ يوم حنين فولى عنه الناس وثبت معه ثمانون رجلا من المهاجرين والانصار فكنا على اقدامنا ولم نولهم الدبر ، وهم الذين أنزل الله عليهم السكينة . وهذا لايخالف حديث ابن عمر فانه نفى أن يكونوا مائة ، وابن مسعود أثبت انهم كانوا ثمانين . وأما ماذكره النووي في شرح مسلم انه ثبت معه اثنا عشر رجلا فكأنه أخذه مما ذكره ابن إسحاق في حديثه انه ثبت معه العباس وابنه الفضل وعلي وأبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة وأسامة بن زيد وأخوه من أمه أيمن بن أم أيمن ، ومن المهاجرين أبو بكر وعمر — فهؤلاء تسعة ، وقد تقدم ذكر ابن مسعود في مرسل الحاكم فهؤلاء عشرة ووقع في شعر العباس بن عبدالمطلب أن الذين ثبتوا معه كانوا عشرة فقط وذلك قوله

نصرنا رسول الله في الحرب تسعة   وقد فر من قد فر عنه فأقشعوا
وعاشرنا وافى الحمام بنفسه   [illegible] مسه في الله لا يتوجع

ولعل هذا هو الثبت [illegible] الرجوع فعد فيمن لم ينهزم ، وممن ذكر [illegible] جعفر بن أبي سفيان ابن الحارث وقثم بن العباس وعتبة ومعتب ابنا أبي لهب وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب وشيبة بن عثمان الحجبي فقد ثبت عنه انه لما رأى الناس قد انهزموا استدبر النبي ﷺ ليقتله فأقبل عليه فضربه في صدره وقال له « قاتل الكفار » فقاتلهم حتى انهزموا . اهـ

وقال ابن القيم عن ابن إسحاق بسنده إلى جابر بن عبدالله (رض) قال : لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة اجوف حطوط انما تنحدر فيه انحداراً قال وفي عماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا الى الوادي فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ومضايقه قد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ماراعنا ونحن منحطون الا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ، وانشمر الناس راجعين لايلوي أحد منهم على أحد . وانحاز رسول الله ﷺ ذات اليمين ثم قال « الى أين أيها الناس ، هلم إلي انا رسول الله ، أنا محمد بن عبدالله » وبقي مع رسول الله

ﷺ نفر من المهاجرين وأهل بيته وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبوبكر وعمر، ومن اهل بيته علي والعباس وأبو سفيان بن الحارث وابنه والفضل بن العباس وربيعة بن الحارث وأسامة بن زيد وأيمن بن ام أيمن - وقتل يومئذ.

ظهور شماتة المنافقين بالهزيمة

قال ابن اسحق: ولما انهزم المسلمون ورأى من كان مع النبي ﷺ من جفاة اهل مكة الهزيمة تكلم رجال منهم بما في انفسهم من الضغن فقال أبو سفيان ابن حرب لا تنتهي هزيمتهم دون البحر، وان الازلام لمعه في كنانته. وصرخ جبلة بن الحنبل - وقال ابن هشام صوابه كلدة - ألا قد بطل السحر اليوم - فقال له صفوان أخوه لأمه وكان بعد مشركا اسكت فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من ان يربني رجل من هوازن.

وذكر ابن سعد عن شيبة بن عثمان الحجبي قال لما كان عام الفتح دخل رسول الله ﷺ مكة عنوة قلت أسير مع قريش إلى هوازن بحنين فعسى ان اختلطوا ان أصيب من محمد غرة فأثأر منه فأكون أنا الذي قمت بثأر قريش كلها، وأقول لو لم يبق من العرب والعجم احد إلا اتبع محمداً ما اتبعته أبداً، وكنت مرصداً لما خرجت له لا يزداد الامر في نفسي الا قوة. فلما اختلط الناس اقتحم رسول الله ﷺ عن بغلته فأصلت السيف فدنوت أريد ما أريد منه ورفعت سيفي حتى كدت أشعره إياه، فرفع لي شواظ من نار كالبرق يكاد يمحشني، فوضعت يدي على بصري خوفا عليه، فالتفت إلي رسول الله ﷺ فناداني « ياشيب[1] ادن مني » فدنوت منه فمسح صدري ثم قال « اللهم اعذه من الشيطان » قال فوالله لهو كان ساعتئذ أحب إلي من سمعي وبصري ونفسي، وأذهب الله ما كان في نفسي. ثم قال « ادن فقاتل » فتقدمت أمامه أضرب بسيفي - الله اعلم اني احب ان أقيه بنفسي كل شيء، ولو لقيت تلك الساعه ابي لو كان حياً لأوقعت به السيف، فجعلت ألزمه فيمن لزمه حتى تراجع المسلمون فكروا كرة رجل واحد

(١) هذا ترخيم أصله ياشيبة وأريد به التحبب والاستمالة

وقربت بغلة رسول الله ﷺ فاستوى عليها وخرج في أثرهم حتى تفرقوا في كل وجه ، ورجع إلى معسكره فدخل خباءه فدخلت عليه ما دخل عليه أحد غيري حباً لرؤية وجهه وسروراً به ، فقال « ياشيب : الذي اراد الله بك خير مما اردت لنفسك » ثم حدثني بكل ما أضمرت في نفسي مما لم أكن اذكره لأحد قط (قال) فقلت اشهد ان لا إله الا الله وأنك رسول الله . ثم قلت استغفر لي ، فاستغفر لي فقال « غفر الله لك » اه وروي نحو من هذا عن النضر أو النضير بن الحارث من أنه خرج الى حنين وهو كافر يريد أن يعين على النبي ﷺ ان كانت الحرب عليه ثم صرح له النبي ﷺ في الجعرانة بما كان في نفسه فحسن إسلامه . ذكر الحافظ هذا في ترجمة نضير من الاصابة ، ولم يذكر شيئاً في هذا المعنى عن أبي سفيان صخر بن حرب لم يذكره بحثه

تراجع المسلمين ونصر الله لهم

روى مسلم من حديث العباس (رض) قال شهدت مع رسول الله ﷺ يوم حنين فلزمت أنا وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب رسول الله ﷺ فلم نفارقه ورسول الله ﷺ على بغلة له بيضاء أهداها له فروة بن نفاثة الجذامي ، فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين فطفق رسول الله ﷺ يركض بغلته قبل الكفار ، قال عباس : وأنا آخذ بلجام بغلة رسول الله ﷺ اكفها إرادة ان لا تسرع ، وأبو سفيان آخذ بركاب رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « اي عباس ناد أصحاب السمرة »[1] فقال عباس [وكان رجلا صيتاً] فقلت بأعلى صوتي : أين أصحاب السمرة ؟ قال فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها ، فقالوا ياليك يا ليك ، قال فاقتتلوا والكفار ، والدعوة في الانصار يقولون يا معشر الانصار يامعشر الانصار . قال ثم قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج فقالوا يابني الحارث بن الخزرج يابني الحارث ابن الخزرج ، فنظر رسول الله ﷺ وهو على بغلته كالمتطاول عليها الى قتالهم

(١) السمرة بفتح فضم الشجرة التي بايع الصحابة النبي ﷺ تحتها يوم الحديبية

فقال رسول الله ﷺ «هذا حين حمي الوطيس»[١] قال ثم أخذ رسول الله ﷺ حصيات فرمى بهن وجوه الكفار ثم قال «انهزموا ورب محمد» قال فذهبت أنظر فإذا القتال على هيئته فيما أرى، قال فوالله ما هو إلا أن رماهم بحصياته فما زلت أرى حدهم كليلا وأمرهم مدبراً اهـ وفي رواية لمسلم زيادة حتى هزمهم الله تعالى وكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يركض خلفهم

قال النووي في شرح قصة العباس قال العلماء: في هذا الحديث دليل على أن فرارهم لم يكن بعيداً وأنه لم يحصل الفرار من جميعهم، وإنما فتحه عليهم من في قلبه مرض من مسلمة أهل مكة المؤلفة ومشركيها الذين لم يكونوا أسلموا، وإنما كانت هزيمتهم فجأة لانصبابهم عليهم دفعة واحدة ورشقهم بالسهام، ولاختلاط أهل مكة معهم ممن لم يستقر الإيمان في قلبه، وممن يتربص بالمسلمين الدوائر، وفيهم نساء وصبيان خرجوا للغنيمة الخ. وفي [illegible] الهزيمة بلغ مكة فشمت منافقوها

وفد هوازن وإسلامهم [illegible]

روى البخاري [illegible] والمسور بن مخرمة أخبراه أن رسول الله ﷺ [illegible] وفد هوازن مسلمين فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم فقال لهم رسول الله ﷺ «معي من ترون، وأحب الحديث إلي أصدقه، فاختاروا إحدى الطائفتين إما السبي وإما المال، وقد كنت استأنيت بكم» وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف. فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا فإنا نختار سبينا. فقام رسول الله ﷺ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال «أما بعد فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم، فمن أحب أن يطيب ذلك فليفعل، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل» فقال الناس قد طيبنا ذلك يا رسول الله. فقال رسول الله ﷺ «إنا لا ندري من أذن في ذلك ممن لم يأذن فارجعوا حتى يرفع إلينا

(١) كذا في مسلم والمشهور «الآن حمي الوطيس» وحمي كرضي والجملة كناية عن اشتداد الحرب وأول من قالها رسول الله ﷺ كما قالوا ثم صارت مثلا بلاغيا

عرفاؤكم أمركم» فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ثم رجعوا الى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا. هذا الذي عن سبي هوازن اه وقائل هذا القول الاخير هو الزهري راوي الحديث كما صرح به البخاري في كتاب الهبة؛ وتطييب ذلك معناه إعطاؤه عن طيب نفس بلا مقابل، والعرفاء جمع عريف وهو الذي يتولى أمر طائفة من الناس ويتعرف أمورهم ليخبر بها من فوقه من امرائهم وأئمتهم وهذه من باب نصر وحسن. وانما أخر النبي ﷺ قسمة الغنائم لاجل عتق السبي

قال الحافظ في شرح هذا الحديث من الفتح ساق الزهري هذه القصة من هذا الوجه مختصرة وقد ساقها موسى بن عقبة في المغازي مطولة ولفظه ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف في شوال الى الجعرانة (١) وبها السبي — يعني سبي هوازن — وقدم عليه وفد هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر من اشرافهم فأسلموا وبايعوا ثم كلموه فقالوا يا رسول الله إن فيمن أصبتم الامهات والاخوات والعمات والخالات وهن مخازي الاقوام (٢) فقال سأطلب لكم وقد وقعت المقاسم فأي الامرين أحب إليكم ... يا رسول الله بين الحسب والمال ... فقال «أما الذي لبني هاشم فهو لكم وسوف أكلم لكم المسلمين فكلموهم وأظهروا إسلامكم» فلما صلى رسول الله ﷺ الهاجرة قاموا فتكلم خطباؤهم فأبلغوا ورغبوا الى المسلمين في رد سبيهم، ثم قام رسول الله ﷺ حين فرغوا فشفع لهم وحض المسلمين عليه وقال «قد رددت الذي لبني هاشم عليهم» ويستفاد من هذه القصة عدد الوفد وغير ذلك مما لا يخفى اه

ثم ذكر الحافظ رواية ابن إسحاق ولفظه: وأدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا يا رسول الله إنا أهل وعشيرة قد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك، فامنن علينا من الله عليك. وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال يا رسول الله ان اللواتي في الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك وأنت خير مكفول. ثم أنشد الابيات المشهورة أولها

(١) الجعرانة بكسر الجيم ماء قريب من مكة من جهة عرفات والطائف (٢) يعنون أن في سبيهن عارا وإهانة لاقوامهن

امنن علينا رسول الله في كرم فانك المرء نرجوه وندخر
ويقول فيها : امنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك تملؤه من محضها الدرر

ثم ساق القصة نحو سياق موسى بن عقبة اهـ ويعني الشاعر الخطيب بما ذكر من قرابة السبايا للمصطفى ﷺ قرابة الرضاع فقد كان بنو سعد من هوازن وكان في السبايا أخته الشيماء وقد أكرمها وحياها وقيل كان فيهم حليمة مرضعته أيضاً وكان من رجال الوفد عمه من الرضاعة أبو مروان ويقال ثروان ويرقان، كما كان هذا الخطيب منهم أيضاً

وفي طبقات ابن سعد ان رجال الوفد كانوا أربعة عشر رجلا وان مما قاله خطيبهم زهير بن صرد في السبايا: وان أبعدهن قريب منك، حضنتك في حجورهن، وأرضعنك بثديهن، وتورّكنك على اوراكهن، وأنت خير المكفولين

قسم غنائم حنين

﴿ وإيثار قريش ولاسيما المؤلفة قلوبهم وحرمان الانصار ﴾

كان النبي [illegible] في حرب يومئذ استرقهم، وأعتقهم النبي ﷺ [illegible] الذين تجمع بين سياسة الاسلام في التوسل الى تحرير الرقيق بجميع الوسائل واتقاء تنفير المسلمين ولا سيما حديثي العهد بالاسلام . وكانت الابل أربعة وعشرين ألفا والغنم اربعين الف شاة وقيل أكثر ، والفضة أربعة آلاف اوقية . وسبب هذه الكثرة ان مالك بن عوف النصري الذي جمع القبائل للقتال ساق مع المقاتلة نساءهم وأبناءهم ومواشيهم وأموالهم لاجل أن يثبتوا ولا يفروا فكان ذلك تسخيراً من الله تعالى ليكونوا غنيمة للمسلمين ، فلما قسمها وأفاض في العطاء على المؤلفة قلوبهم من طلقاء يوم الفتح وجد الانصار وتحدث بعضهم بذلك فجمعهم النبي ﷺ وخطب فيهم فأرضاهم وذلك مروي في الصحاح والسنن والمغازي فنذكر أصح الروايات فيه

روى احمد والبخاري ومسلم من عدة طرق واللفظ هنا للبخاري من حديث عبدالله بن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله على رسوله ﷺ يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم ولم يعط الانصار شيئا فكأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب

الناس ، فخطبهم فقال « يامعشر الانصار ! » ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي ؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي ؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي ؟ » كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمنّ . قال « مايمنعكم أن تجيبوا رسول الله كلما قال شيئا ؟ » قالوا الله ورسوله أمن . قال « لو شئتم قلتم جئتنا كذا وكذا ، ألا ترضون ان يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ الى رحالكم ؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ، ولو سلك الناس واديا وشعباً لسلكت وادي الانصار وشعبها ، الانصار شعار ، والناس دثار ، انكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض »

وللشيخين من حديث أنس واللفظ للبخاري : قال ناس من الانصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من اموال هوازن فطفق النبي ﷺ يعطي رجالا المائة من الابل فقالوا يغفر الله لرسول الله ﷺ يعطي قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم (قال انس) فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم فأرسل الى الانصار فجمعهم في قبة من أدم ولم يدع معهم [illegible] فلما اجتمعوا قام رسول الله ﷺ فقال « ماحديث بلغني عنكم ؟ » [illegible] لم يقولوا شيئا وأما ناس منا حديثة [illegible] ﷺ يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم . فقال رسول الله ﷺ « فاني اعطي رجالا حديثي عهد بكفر أتألفهم ، أما ترضون ان يذهب الناس بالاموال وتذهبون بالنبي ﷺ الى رحالكم ؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به » فقالوا يارسول الله قد رضينا فقال لهم النبي ﷺ « ستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ﷺ فاني على الحوض » قال انس فلم يصبروا اهـ وفي رواية فلم نصبر لا لانهم . وفي رواية اخرى عنه قال : جمع النبي ﷺ ناساً من الانصار فقال « ان قريشاً حديث عهد (كذا فيها) بجاهلية ومصيبة واني اردت ان اجبرهم وأتألفهم » الخ

ولهما من حديث عبد الله بن مسعود (رض) واللفظ للبخاري وهو أخصر قال لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ ناساً : أعطى الاقرع مائة من الابل وأعطى عيينة مثل ذلك وأعطى ناساً فقال رجل ما أريد بهذه القسمة وجه الله فقلت والله لأخبرن النبي ﷺ فقال « رحم الله موسى قد اوذي بأكثر من هذا فصبر » وفي رواية

لمعنه فقال رجل من الانصار . قال الحافظ في رواية الاعمش اي عنه فقال رجل من الانصار . وفي رواية الواقدي انه معتب بن قشير بن عوف وكان من المنافقين

وروى احمد ومسلم وغيرهما من حديث رافع بن خديج قال اعطى رسول الله ﷺ ابا سفيان بن حرب وصفوان بن امية وعيينة بن حصن والاقرع بن حابس كل إنسان منهم مائة من الابل ، وأعطى عباس بن مرداس دون ذلك . فقال عباس بن مرداس

أتجعل نهبي ونهب العبيـ ـد بين عيينة والاقرع [1]
فما كان بدر ولا حابس يفوقان مرداس في المجمع [2]
وما كنت دون امرئٍ منهما ومن تخفض اليوم لا يرفع

قال فأتم له رسول الله ﷺ مائة اه وقد نقل الحافظ في الفتح اسماء هؤلاء المؤلفة الذين اجزل لهم العطاء فبلغوا اربعين ونيفاً

وقوله ﷺ في حديث عبد الله بن زيد بن عاصم المتقدم « لو شئتم لقلتم جئتنا كذا وكذا » انما ابهمه الراوي ادباً معه ﷺ وقد فسر في حديث أبي سعيد ولفظه فقال « اما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم وصدقتم اتيتنا مكذباً فصدقناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلاً فآسيناك » ولفظه في حديث انس ملفظ « افلا تقولون جئتنا خائفاً فآمناك ، وطريداً فآويناك ، ومخذولا فنصرناك ؟ » فقالوا بل المن علينا لله ولرسوله . اه واقول هذا من عجائب تواضعه والطفه ودقائق حكمته وسياسته (ص) اذ ذكر ما لعله يختلج في مثل تلك الحال في قلوب بعضهم بعد ذكر بعض ما من الله تعالى به عليهم من النعم بهدايته وما كانوا قبلها الا قبيلتين من قبائل العرب المتعادية المتناقضة لاهم لاحداهما إلا النكاية بالاخرى فصاروا اعز العرب ومفخر الاسلام والمسلمين ونزل فيهم (٣ : ١٠٣ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) الآية ، واثنى عليهم في آيات اخرى يتعبد الملايين من جميع الشعوب بتلاوتها الى

(١) المراد بالنهب الغنيمة . والعبيد (مصغر) اسم فرسه وكان يكون الفرس سهم
(٢) بدر جد أبي عيينة وكان ينسب اليه تارة وإلى أبيه حصن تارة وإنما تفعل العرب ذلك في الجد المشهور كما كان ينسب النبي ﷺ الى جده عبد المطلب

فتاوى المنار

﴿ بقية الكلام في أحاديث انشقاق القمر ﴾

تتمة إشكال عدم رؤية أهل الآفاق له

وأما قولهم انه لم ينقل الينا عن أهل الارض انهم رصدوا القمر في تلك الليلة فلم يروه انشق، ففيه ان رؤية انشقاقه لا تتوقف على رصده لان من شأنه أن يراه كل ناظر اليه وان الذين ينظرون اليه في ليالي تمه كثيرون

وأما قولهم « ان الحجة فيمن أثبت لا فيمن يوجد منه صريح النفي حتى ان من وجد منه صريح النفي يتقدم قوله على من وجد منه صريح الاثبات » ففيه انه ليس في موضع النزاع لان الرافع [illegible] لكنه يدعي شيئاً لو صح لرآه من لا يحصى من [illegible] وإذ لم يحصل هذا فيكون خبره غير مقبول [illegible] علماء الاصول والمنطق في الخبر الذي يقطع بعدم صحته (مع كونه معارضاً بآيات القرآن المحكمة كما يأتي قريبا)

وقد بالغ القاضي عياض في الاعتماد على هذا الجواب أو الدفع فجعل نقل النفي للشيء بالخبر المتواتر المفيد للعلم القطعي مرجوحاً يرد بما يعارضه من إثباته بخبر الواحد الذي لا يفيد الظن عندهم إلا بشروط منها أن لا يكون مخالفاً لسنة الله في الوجود ونظام العالم، وأن لا يكون مما تتوفر الدواعي على نقله بالتواتر، وأن لا يكون معارضاً بنص قطعي كآيات القرآن الصريحة في عدم إعطاء الرسول ﷺ آية باقتراح الكفار (وسيأتي تقرير هذا في الاشكال الاصولي «و»)

وهذا نص عبارة القاضي « ولو نقل الينا عمن لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كان علينا به حجة » يعني اننا نصدقهم بأنهم رصدوه طول الليل ولم يروه انشق ولا يكون حجة علينا مع قطعنا بصدقهم، وعلل هذا بقوله « اذ ليس القمر في حد واحد لجميع أهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على

الآخرين ، وقد يكون من قوم بصدد ماهو من مقابليهم من اقطار الارض ، أو يحول بين قوم وبينه سحاب وجبال ، ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون بعض » الخ ماسبقه اليه الخطابي وغيره وتقدم

وفيه ان التعليل الذي ذكره يصح في بعض الاقطار دون جميعها ، ولكن لايجوز عقلا أن ينشق ولا يرى في شيء منها ، وتقدم الجواب عن اختلاف المطالع والخسوف والكسوف

على ان الحافظ الذي نقل عن شيخ الاسلام ابن تيمية ان بعض المسافرين ذكر انه رأى في بلاد الهند بناء قديماً مكتوبا عليه انه بني ليلة انشق القمر ، وأذكر اني رأيت في بعض الكتب او الصحف انهذا رؤي في بلاد الصين . ولكن مثل هذا الخبر الغريب عن مسافر مجهول لا يعده احد من أهل العلم حجة في مسألة علمية ولو لم تكن كمسئلتنا لعدم الثقة بعدالته ولانه يروي ما لو صح لوقف عليه المسلمون الآخرون [illegible] بجوازه، ولدوّن خبره في كتب التاريخ [illegible] على انه لو وجد بهذا الابهام والاجمال لما كان حجة في موضوعنا لجواز ان يكون سببه أسطورة أو اشاعة حدثت عند الذين بنوه وربما كانوا من الوثنيين، وقد نقل الحافظ في سياق هذا البحث ان العلامة الحليمي الشهير، قال كما نقل عنه البيهقي في البعث والنشور مانصه

« ان من الناس من قال ان المراد بقوله تعالى | وانشق القمر | اي سينشق | قال الحليمي | فان كان كذلك فقد وقع في عصرنا فشاهدت الهلال ببخارى في الليلة الثالثة منشقا نصفين عرض كل واحد منهما كعرض القمر ليلة أربع أو خمس ثم اتصلا فصار في شكل أترجة الى أن غاب ، وأخبرني من اثق به انه شاهد ذلك في ليلة أخرى . اه وقد صرح الحافظ ابن حجر بتعجبه من اقرار البيهقي لهذا مع حديث ابن مسعود . ونحن نصدق ما ذكره الحليمي عن نفسه وعمن يثق به ونجزم انها تخيلا خالا ، أو عرض لبصرهما ماصوّر لها ذلك، ومن العلل العارضة للبصر أو الدائمة مايصور لها الواحد اثنين ، وهذا معروف مشهور

﴿ ه ﴾ الاشكال الفلكي

استشكل بعض الناس خبر انشقاق القمر بما هو مقرر في أصول علم الفلك (القديم) كذا قال الحافظ « وانهم احتجوا بأن الآيات العلوية لا يتهيأ فيها الخرق والالتئام » وعزاه الى الفلاسفة ونقل عن الزجاج عزوه الى « المبتدعة الموافقين لمخالفي الملة » وأجاب عنه بأن القمر مخلوق لله يفعل فيه ما يشاء . أقول وهذا حق لا ينكره مؤمن بالله ، ومسألة عدم قبول الافلاك للخرق والالتئام من أوهام فلاسفة اليونان ، وقد كشفها وأبطلها علم الهيئة الحديثة . ولكن لا يشك عاقل من المؤمنين وغيرهم ان خلقه تعالى للسموات وأجرامها في غاية الابداع والنظام لا تفاوت فيه ولا خلل ، وان سنته تعالى في الخلق لا تتبدل ولا تتحول ، فلا يصدق خبر وقوع تغير فيها الا بخبر قطعي لا يحتمل ثبوته وثباته ، كآيات الرسل التي أخبر الله تعالى بها ، ومن دونها آيات أرضية لا يتضمن وقوعها ما يتضمنه انشقاق القمر ورجوع الشمس ... من تعطيل النظام الكوني العام ، ومعارضة قوله تعالى (الشمس والقمر بحسبان) وقول رسوله ﷺ « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته » متفق عليه ، وذلك كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ فمثل هذا يقبل في خبره ما صح وإن لم يتواتر ويصير قطعياً . ونحن انما نذكر مثل هذه الدقائق لغرض شرعي صحيح سنذكره بعد .

﴿ و ﴾ الاشكال الاصولي الاعظم

قد ثبت بآيات القرآن المحكمة الكثيرة القطعية الدلالة ان آية الله تعالى وحجته على صحة نبوة خاتم رسله محمد ﷺ التي تحدى بها الكفار ولم يحتج عليهم بغيرها هي كتاب الله المعجز للبشر ولغيرهم من الخلق وثبت بالحديث الصحيح الصريح أيضاً فقد قال (ص) « ما من الانبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة » رواه الشيخان والنسائي فقوله (ص) « وانما كان » من شرح تفيد الحصر وقد تأولوه بانه لما كان القرآن أعظم معجزاته وأدومها كان غيرهم منها

كأنه غير موجود ، ولا حاجة إلى هذا التأويل اذا اشترط في المعجزة التحدي فانه (ص) لم يتحدّ العرب ولا عيرهم إلا بالقرآن ، وقد بين العلماء حكمة ذلك بما هو معلوم مشهور بناء على انه هو اصل العقيدة القطعي الذي لانزاع فيه ، وثبت بالآيات المحكمة الكثيرة القطعية الدلالة ان الكفار طالبوا النبي ﷺ بآيات من الآيات الكونية التي اوتي مثلها الرسل على الابهام ، وانهم اقترحوا عليه آيات معينة ايضاً فلم يجابوا إلى طلبهم ، وفي بعض هذه الآيات مايدل على انه ﷺ كان يحب هو واصحابه ان يؤيده الله بآية مما اقترحوه لعلهم يؤمنون ، وان الله تعالى لم يؤته ذلك بل بين له في بعض تلك الاحوال ان طلبهم الآيات انما يقصدون به التعجيز وانهم لو اعطوها لا يؤمنون ، وان سنته قد مضت بان ينزل عذاب الاستئصال بكل قوم اقترحوا آية على رسولهم ولم يؤمنوا [illegible] الى ذلك ، وامره في احوال اخرى بان يخبرهم بان الآيات عند الله وبيده وحده ، وانه هو بشر لايستطيع شيئاً مما لايستطيعه البشر [illegible] علمه الناس من البينات الهدى والارشاد ، [illegible] مشتمل على آيات كثيرة في آية الله الكبرى ، وصرح في بعض آخر ببعض تلك الآيات فيه

في سورة يونس (١٠ : ٢٠ ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين) وفي سورة الرعد (١٣ : ٨ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما انت منذر ولكل قوم هاد) وفيها (٢٨ ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه قل ان الله يضل من يشاء ويهدي اليه من اناب)

وفي سورة طه (٢٠ : ١٣٣ وقالوا لولا يأتينا بآية من ربه ؟ اولم تأتهم بينة ما في الصحف الاولى ؟) أي اخبار كتب الانبياء في القرآن وهي إحدى معجزاته

وفي سورة العنكبوت (٢٩ : ٥٠ وقالوا لولا انزل عليه آيات من ربه : قل انما الآيات عند الله وانما انا نذير مبين (٥١) اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ؟ ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون)

وفي سورة الانعام (٦ : ٨ وقالوا لولا انزل عليه ملك ؟ ولو انزلنا ملكا

لقضي الامر ثم لاينظرون) أي لقضي الامر بهلاكهم واستئصالهم ثم لاينظرون أي لا يؤخرون ولا يمهلون بعد نزوله

وقال في سورة الاسراء (١٧: ٦٠ وما منعنا أن نرسل بالآيات الا أن كذب بها الاولون، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها، وما نرسل بالآيات إلا تخويفاً)

وقال في سورة الانعام لرسوله ﷺ مسلياً إياه عن إعراضهم ومؤيساً اياه من اعطاء الآية الكونية المقترحة (٦: ٣٥ وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقاً في الارض او سلماً في السماء فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين (٤٠) انما يستجيب الذين يسمعون ، والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون (٤١) وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه؟ قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن أكثرهم لايعلمون)

ثم قال فيها مؤيساً لأصحابه ﷺ من إيمانهم إذا أوتوا آية (١١٠ وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل إنما الآيات عند الله ، ومايشعركم أنها إذا جاءت لا يؤمنون (١١٠) ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به اول مرة ، ونذرهم في طغيانهم يعمهون (١١١) ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن اكثرهم يجهلون) وليراجع من شاء تفسير كل ما ذكرنا من هذه الآيات التي في سورة الانعام في الجزء السابع وأول الثامن من تفسيرنا هذا وفي غيره

بعد التذكير بهذه الآيات المحكمة القطعية كيف يمكننا أخذ رواية أنس ابن مالك (رض) في الصحيحين بالقبول فنصدق أن المشركين طلبوا من النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر ، ولم يدع غيره من رواة الحديث في الصحيحين هذه الدعوى مع العلم بأن روايته له مرسلة لانه انصاري كان عند هجرة النبي ﷺ ابن عشر سنين وعند انشقاق القمر ابن خمس سنين في المدينة ، ولا يعلم أحد إلا الله ممن سمع هذا الخبر ، واحتمال سماعه له من ابن مسعود بعيد لانه لم يأت في شيء من الروايات الصحيحة عن ابن مسعود ان المشركين اقترحوا على النبي ﷺ آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما . وفي رواية عنه مرتين وهي

غلط من الرواة كما بينه ابن القيم وابن حجر وبراد بها الشقين ، ولم يصح ذلك عن أحد ممن رووا عنه هذا الحديث ، وانما روى نحوه أبو نعيم في الحلية بعض أسانيده الواهية عن ابن عباس [رض] وروى عنه ما يعارضه وهو أن الذين طلبوا من النبي ﷺ أن يريهم آية ليؤمنوا فأراهم انشقاق القمر هم بعض اليهود ، وهي رواية شاذة على شدة ضعفها لم يقبلها أحد من العلماء الذين يقبلون الاحاديث الضعيفة في الفضائل والدلائل لمعارضتها الأولى ولان مكة لم يكن فيها اليهود وسورة القمر مكية بالاجماع

قال الحافظ في شرح حديثه في [باب انشقاق القمر] من البخاري : ولم أر في شيء من طرقه ان ذلك كان عقب سؤال المشركين الا في حديث انس فلعله سمعه من النبي ﷺ ثم وجدت في بعض طرق حديث ابن عباس صورة السؤال وهو وان كان لم يدرك القصة [illegible] طرقه ما يشعر بانه حمل الحديث عن ابن مسعود كما سأذكره ، [illegible] في الدلائل من وجه ضعيف عن ابن عباس قال : [illegible] الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام [illegible] والنضر بن الحارث ونظراؤهم فقالوا للنبي ﷺ إن كنت صادقا فشق لنا القمر فرقتين ، فسأل ربه فانشق اهـ والحافظ حجة في النقل ضعيف في إيراد الاحتمالات وتوجيهها في الغالب ولا سيما الاحتمالات المؤيدة لما يراه صحيحاً أو حسناً في نفسه كالفضائل والمناقب، وما يعد من دلائل النبوة منها أولى

وأول ما يخطر في بال مستقل الفكر ان الذين رووا الحديث عن ابن مسعود نفسه عند الشيخين وغيرهما لم يقل أحد منهم ان انشقاق القمر كان إجابة لطلب الكفار آية من النبي ﷺ وذلك معارض لنصوص القرآن فكيف نلحق به احتمال تحديث ابن عباس بذلك في رواية لم تصح عن ابن عباس ، مع أن رواية ابن عباس في الصحيحين مرسلة يحتمل أن يكون سمعها من بعض التابعين حتى كعب الاحبار الذي ثبت انه روى عنه بعض إسرائيلياته في التفسير وغيره

هذا مجمل ما يقال في رواية كون انشقاق القمر كان آية مقترحة من الكفار

خلافًا لما يقتضيه ماذكرنا من آيات القرآن وما لم نذكر منها ، ولم أر أحدًا من العلماء عني ببيان الاشكال والجواب عنه ، إلا أن الخطابي قرر في مسألة انشقاق القمر حكمة عدم بلوغ شيء من المعجزات المحمدية مبلغ التواتر الذي لا نزاع فيه إلا القرآن — بما حاصله كما تقدم عن الحافظ ابن حجر « ان معجزة كل نبي كانت إذا وقعت عامة أعقبت هلاك من كذب به من قومه للاشتراك في إدراكها بالحس ، والنبي ﷺ بعث رحمة فكانت معجزته التي تحدى بها عقلية » الخ ما تقدم وهو تلخيص الحافظ لكلامه أولا فهم أو أراد منه على أنه لم يرض منه إلا تعليله لمناسبة إيتاء كل نبي ما يناسب حال أمته من الآيات كما تقدم . ولكن الشيخ عليًّا القاري نقل عبارته نفسها في شرحه للشفا وهي:

«قال الخطابي: الحكمة في وقوعها ليلا أن من طلبها من الرسول ﷺ بعض من قريش فوقع في ذات ليلة [illegible] تعالى أن تكون هذه المعجزة [illegible] لكانت داخلة [illegible] الخاصة والعامة لفعل ذلك ولكن الله [illegible] بآية عامة يدركها الحس فلم [illegible] نبيا عقلية وذلك أن [illegible] ومن فضل الفهم بالنسبة إلى سائر الأمم والفصاحة والله تعالى أعلم » اه

وهذه العبارة تفيد ما لم يفده تلخيص الحافظ لها وإنما يلخص كل إنسان من كلام غيره ما فهمه مما يتعلق بغرضه وما كل إنسان يفهم كل مراد غيره من كلامه وما كل ملخص يؤدي كل ما فهمه كما فهمه ، وكل من العبارتين قاصر عن تحقيق الحق في الموضوع وقد بيناه في مواضع من تفسير المنار ، ومنه أن الله تعالى جعل آية على صدق رسالة خاتم النبيين عقلية علمية دائمة لاتستطيع التكون حجة قائمة على العقلاء بقاء أمة الدعوة وأمة الاجابة أي الى يوم القيامة ان الآيات الكونية لا بقاء لها ويحصل المراء في نقلها وفي دلالتها

ومنه انقضت سنة الله تعالى بأن الأمم التي تقترح على رسولها آية ثم تكفر به بعد تأييد الله إياه بها ان الله تعالى ينزل بها عذاب الاستئصال العام عاجلا لا عذاب المكذبين وحدهم ، ولما كان خاتم النبيين قد أرسل رحمة للعالمين كان

لتعذيب قومه بعذاب الاستئصال منافياً لهذه الرحمة ومستأصلا لجميع البشر او القومه في الجنسية النسبية وهم العرب عامة ، لا من رآها منهم و كذبها خاصة ، ولو استأصل العرب ، لما آمن بالقرآن شعوب العجم ، (ولو نزلناه على بعض الاعجميين ، فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين) وانما أعد الله نبيه وقومه العرب ، وقدر أن يكونوا هم الدعاة والهداة للعجم بما يرون من تأثير هدايته فيهم السيادة والعدل في الأمم ، كما بيناه في فاتحة التفسير . فعبارة الخطابي قاصرة . ومن الغريب انه زعم أن وقوع انشقاق القمر لئلا يخرجه عن كونه آية حسية ، ليدفع به استشكاله بعدم نزول العذاب بهم لعدم ايمانهم بها ، وهو ما اشترطه هو دون غيره لعذاب الأمة اذا لم تؤمن عقب رؤية الآية ، — وهو زعم مخالف للحس

وجملة القول أنه لم يصح ان قريشاً سألوا النبي ﷺ آية تدل على صدق نبوته وان الله تعالى أجابهم الى طلبهم بجعل انشقاق القمر آية كما هو نص حديث أنس في الصحيحين وغيرهما [illegible] الله أمته وقومه بالاستئصال على حسب القاعدة الصحيحة الثابتة [illegible] كذبوا بها على رأي الخطابي ومن وافقه ، ولكن [illegible] عقب ذلك التكذيب بل نقل خلافه وان منهم من مات بعد ذلك ، ومنهم من قتل ببدر بعد بضع سنين ، ومنهم من آمن بعد إصرار على التكذيب بعد رؤيتها بضع عشرة سنة كالنضر بن الحارث من مسلمة الفتح الذين شهدوا حنيناً وأعطاه النبي ﷺ مائة بعير تأليفاً له . وقيل انه أخ له اسمه نضير بالتصغير وراجع الاسمين في الاصابة

ومن غريب الذهول ان الحافظ ابن كثير لم يعرض لهذه المسألة في تفسير أول سورة القمر بل أورد حديث أنس وسكت عليه ولكنه أشار اليها في تفسير بعض الآيات الصريحة في عدم إجابة الكفار الى ما كانوا يقترحونه على النبي ﷺ من الجيء بأية أي آية أو بآية معينة ، قال في تفسير آية يونس (١٠: ٢٠ وقالوا لولا يأتينا آية من ربه) بعد أن أورد بعض الآيات في معناها ما نصه :

يقول تعالى ان سنتي في خلقي أني إذا آتيتهم ما سألوا فان آمنوا والا عاجلتهم بالعقوبة . ولهذا لما خير رسول الله ﷺ بين إعطائهم ما سألوا فان آمنوا والا

عذبوا ، ومن إنظارهم ، اختار إنظارهم كما حلم عنهم غير مرة رسول الله ﷺ ولهذا قال تعالى إرشاداً لنبيه ﷺ الى الجواب عما سألوا (فقل انما الغيب لله) أي ان الامر كله لله وهو يعلم العواقب في الامور (فانتظروا اني معكم من المنتظرين) أي ان كنتم لا تؤمنون حتى تشاهدوا ما سألتم فانتظروا حكم الله في وفيكم . هذا مع انهم قد شاهدوا من آياته ﷺ أعظم مما سألوا حين أشار بحضرتهم الى القمر ليلة إبداره فانشق باثنتين فرقة من وراء الجبل وفرقة من دونه . وهذا أعظم من سائر الآيات الارضية مما سألوا ومما لم يسألوا اه المراد منه وقد أورد بعده بعض الآيات الناطقة بأنهم سألوا ذلك عناداً وتعنتاً وانهم لا يؤمنون إذا أجيبوا إلى ما طلبوا وإلى ما هو أعظم منه . وظاهر عبارته هنا في مسألة انشقاق القمر انه لم يكن عن طلب واقتراح منهم ، وإلا كان مناقضاً لما قبله ولما بعده من الآيات هنا ولما قاله كغيره في تفسيرها وفي مواضع أخرى من تفسيره

وما ذكره ابن كثير من تخيير الله تعالى نبيه ﷺ والروي فيما ذكر من اقتراحاتهم في سورة الاسراء (١٧: ٩٠-٩٣) ... (١٧: ٥٩) ... وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الاولون) ... ما سأل قومك منك فانه سهل علينا يسير لدينا ، إلا أنه قد كذب بها الاولون بعد ما سألوها ، وقد جرت سنتنا فيهم وفي أمثالهم انهم لا يؤخرون ان كذبوا بها بعد نزولها الخ

وقال البغوي في هذه الآية : (وما منعنا أن نرسل بالآيات) التي سألها كفار قريش (الا أن كذب بها الاولون) فأهلكناهم ، فان لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكناهم ، لأن من شأننا في الامم اذا سألوا الآيات ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها أن نهلكهم ولا نمهلهم ، وقد حكمنا بإمهال هذه الامة في العذاب فقال تعالى (بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر) اه وتكررت أقوال المفسرين بهذا المعنى في تفسير الآيات الكثيرة التي ذكرنا بعضها في أول بيان هذا الاشكال

فهذه أدلة قطعية إجماعية على هذا الاشكال ليس في مقابلها إلا متن حديث أنس (رض) المرسل الصحيح السند الذي لم يجد الحافظ ما يقويه به على سعة اطلاعه وحفظه إلا حديث ابن عباس

عند أبي نعيم الذي اعترف بضعفه ، وأقول ان في سنده عنده بكر بن سهل وكان يروي الموضوعات وهو من طريق الضحاك عن ابن عباس واتفقوا على أنه لم يره فهو منقطع وضعفه بعضهم وطريق ابن جريج عن عطاء عنه وابن جريج مشهور بالتدليس فلا تقبل عنعنته بالاتفاق دع ما تقدم من ارساله وبطلان متنه

وإذا بطل كون الانشقاق كان آية طلبها كفار قريش فاعلموا زال السبب الذي جعل أكثر العلماء الذين تكلموا في المسألة شديدي الحرص على تصحيح الحديث حتى تجرأ بعضهم على ادعاء تواتره والاجماع عليه وود الأكثرون هاتين الدعويين ، ولله الحمد أن أكرمهم بعدم قبول مثلهما ، وقد كان من حرص بعضهم على تصحيحه - مع الغفلة عن معارضة القرآن لكونه آية مقترحة - أن طعنوا في دين من أنكروه وفي تفسير الآية الكريمة به وعدوهم من المبتدعين وإن كان لهم سلف من أكبر علماء التابعين كما [illegible] كل من خالف المشهور أو الجمهور في كل زمن بلقب الابتداع ولو تذكروا آيات القرآن الكثيرة المعارضة له لما حرصوا كل [illegible] تواتره وإلا كانوا أحق بلقب الابتداع [illegible] كبارا لآية انشقاق القمر التي تصغر وتتضاءل دون كل آية من آياته ، فإن نوره أقوى وأوضح من نور الشمس التي يستمد القمر نوره منها ؛ على انهم لم يجدوا بداً من تصغير هذا الانشقاق في سبيل دفع الاعتراضات عليه حتى قال بعضهم انه وقع في آخر الليل في لحظة من الزمان ، ولذلك لم يره إلا من كان مع النبي (ص) في تلك اللحظة ، وأي برهان على النبوة في مثل هذه اللحظة من آخر الليل أو أوله أو وسطه ، وكل إنسان يتهم نظره في مثلها وإن لم يكن ثمة شبهة في انها من تخييل السحر ، وقد وقع مثلها للحليمي وغيره كالثقة الذي حدثه بمثل ما رأى ؟

وأما معارضة جملة هذه الروايات بما استشكله العلماء ونقلناه عنهم مع أجوبتهم والبحث فيها فالذي نقرره فيها ان من قبل تلك الروايات في أن القمر قد انشق ومن لم يقبلها لعدم اقتناعه بتلك الاجوبة عن تلك الاشكالات سواء في كون كل منهما لم يرد به شيئا من كتاب الله ولا من سنة رسوله ولا مما صح من حديثه

[فان قيل] اننا رأيناك ذكرت كل الروايات عن أولئك الصحابة الكرام في حديث انشقاق القمر إلا حديث علي رضي الله عنه فلم تذكر لنا لفظه ولا سنده لنعلم درجته ودلالته فما سبب ذلك؟ [قلت] انهم ذكروا اسمه كرم الله وجهه في رواته ولكننا لم نر أحداً منهم ولا من غيرهم ذكر لفظه ولا ذكر من خرجه أو راجعه في كتابه إن كان من الكتب المشهورة المتداولة. ولكننا رأينا في شرح الشفاء لملا علي القاري عند ذكر المتن لعلي في رواته ما نصه: قال الدلجي: لا يعرف مخرجه اهـ

(ز) الخلاصة الاصولية لأحاديث انشقاق القمر

خلاصة القول في أحاديث انشقاق القمر [١] انها آحادية لا متواترة، [٢] وانها متعارضة مختلفة، لا متفقة مؤتلفة، [٣] وانه ليس فيها حديث مرفوع الى النبي ﷺ كالاحاديث الناطقة بخصائصه [٤] وانه ليس في الصحيحين منها إلا حديث واحد مسند الى من صرح بأنه رأى ذلك وفيه من الاختلاف ما أشرنا اليه في محله ولكن ليس فيه ان انشقاقه كان إجابة لطلب من كفار مكة [٥] وان حديث أنس الذي صرح فيه بذلك [illegible] غير المقبول على ما فيه من التفصيل المشهور [illegible] إلا لفظ البخاري «عن قتادة عن أنس انه حدثهم أن أهل مكة سألوا رسول الله أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر» وقتادة كان على فضله وسعة حفظه مدلساً فيحتمل أن يكون سمع هذا الخبر عن أنس ممن لا يوثق به، وكلمة حدثهم ليست في قوة حدثنا وحدثني وسمعته وما في معناهن، وكما يحتمل أن يكون قتادة رواه عن أنس بواسطة يحتمل أن يكون أنس سمعه ممن لا يوثق به من التابعين أيضاً كما تقدم [٦] وانه على ذلك معارض بنص القرآن وسنة الله في الرسل وأقوامهم والحديث المرفوع المتفق عليه في حصر آية نبوته ﷺ في القرآن كما تقدم

وغرضنا من هذا أن ما دلت عليه الدلائل القطعية من الآيات الكثيرة والحديث المتفق عليه في حصر آية نبوته في الوحي الذي أوحاه الله تعالى اليه وهو القرآن لا تقتضي الطعن في صدق أنس ولا في صدق قتادة لما ذكرنا من الاحتمال، وهي مقدمة على مضمون حديثهما على كل حال، بل لو وجد فيها حديث صحيح

السند مرفوع إلى النبي ﷺ لكانت مقدمة عليه عند عدم إمكان الجمع بينهما ، وكان هذا دليلا على أنه موضوع في الواقع ، وإن عدلوا رجال سنده في الظاهر

وإذ لم يصح هذا الحديث الذي انفرد به أنس في مراسيله على تقدير سماع قتادة منه فسواء عندنا أصح غيره مما رووه في انشقاق القمر أم لا . فإن غرضنا الاول من هذا البحث كله أنه لا يوجد فيها حديث صحيح مخالف للقرآن ، لا لأجل المحاماة عن القرآن فإن القرآن فوق كل شيء ، وكل ما خالفه فهو باطل قطعا . وانما غرضنا المدافع عن أنس قتادة ثم عمن روى عنهما ذكر وسكت عليه ، ولا يهمنا بعد هذا أمر من قبل الرواية واحتج بها وجعلها من دلائل النبوة لغفلتهم عن هذه الحقائق القطعية

(ح) تفسير الآية

إن لعناية المفسرين وغيرهم بتصحيح الروايات في انشقاق القمر سببين [أحدهما] تكثير [illegible] كما تقدم [وثانيهما] تفسير (اقتربت الساعة وانشق القمر [illegible]) [illegible] من كل فهم ورأي وعلم باللغة وغيرها امام ما دون هذه الرواية في تعدد طرقها ، وجلالة رواتها ، كما ترى في تفسير محيي السنة البغوي فمن دونه في العلم بالرواية خضوعا وتسليما لكثير من الروايات الاسرائيلية الواهية والموضوعة

فإذا أنت رجعت إلى لغة القرآن في معاجمها لتفهم الآية منها دون هذه الروايات وجدت في لسان العرب ما نصه : وانشق الصبح وشق الصبح يشق شقا إذا طلع . وفي الحديث « فلما شق الفجران أمرنا باقامة الصلاة » يقال شق الفجر وانشق — إذا طلع ، كأنه شق موضع طلوعه وخرج منه (١) وانشق البرق وتشقق انفلق ، وشقيقة البرق عقيقته وهو ما استطار منه في الافق وانتشر اهـ فعلى هذا يقال انشق القمر بمعنى طلع وانتشر نوره ، ويكون في الآية بمعنى ظهر الحق ووضح كالقمر يشق الظلام بطلوعه ليلة البدر ، وقال

١) قال صاحب اللسان هذه العبارة في تفسير الحديث عن النهاية في شرح غريب الحديث

الراغب في مفردات القرآن (وانشق القمر) قيل انشقاقه في زمن النبي عليه السلام وقيل هو انشقاق يعرض فيه حين تقرب القيامة ، وقيل معناه وضح الامر اه ونقله عنه صاحب التاج . وهذا الاخير هو المتبادر من الآية بنص اللغة ومعونة السياق لان صيرورة القمر شقتين منفصلتين لادخل لها في انذار المشركين الذي هو موضوع السورة ولم يسبق أن عد من آيات الساعة كانشقاق السماء وانفطار الكواكب فلم يبق الا انه بمعنى ظهور الحق ووضوحه بآيات القرآن

والقول بأن معناه انه سينشق عند قيام الساعة مروي عن الحسن البصري وعن عطاء من التابعين ، والتعبير عن المستقبل بصيغة الماضي في القرآن كثير جداً في أخبار الساعة والآخرة وغيرهما ، وأخرج الطبراني وابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس قال كسف القمر على عهد رسول الله ﷺ فقالوا سحر القمر فنزلت (اقتربت الساعة وانشق القمر) الى قوله (مستمر) فهذه رواية تأولها بعضهم على انشقاق [illegible]

وقد رد الالوسي [illegible] وزعم بعضهم ان انشقاق القمر عبارة عن انشقاق [illegible] الصبح فلقا عند انفلاق الظلمة عنه وقد يعبر عن الانفلاق بالانشقاق كما في قول النابغة

فلما أدبروا ولهم دوي دعانا عند شق الصبح داعي

وزعم آخر ان معنى انشق القمر : وضح الامر وظهر ، وكلا الزعمين مما لا يعول عليه ، ولا يلتفت اليه ، ولا أظن الداعي اليهما عند من يقر بالساعة التي هي أعظم من الانشقاق ، ويعترف بالعقائد الاسلامية التي وقع عليها الاتفاق ، سوى عدم ثبوت الاخبار في وقوع ذلك على عهده عليه الصلاة والسلام عنده ، ومنشأ ذلك القصور التام ، والنسك بشبه هي على طرف الثمام ، ومع هذا لا يكفر المنكر بناء على عدم الاتفاق على تواتر ذلك وعدم كون الآية نصا فيه ، والاخراج من الدين أمر عظيم فيحتاط فيه ما لا يحتاط في غيره والله تعالى الموفق اه

وقد فاته قول أهل اللغة: انشق البرق وانشق الصبح بمعنى طلع وبمعنى استطار نوره وانتشر في الافق ، ومثله القمر في ذلك . فما أنكره وسماه مزاعم هو من

نصوص اللغة وماصرفه هو عنها إلا اغتراره بالروايات في كون الانشقاق كان آية معجزة اقترحها الكفار فأجيبوا اليها ، ومنشأ ذلك غفلته عن كون الحديث في ذلك مرسلا شاذاً عن مدلس وكونه مع هذا معارضا بنصوص القرآن القطعية وما يؤيدها من الاحاديث المسندة المرفوعة إلى النبي ﷺ في كون آيته التي جعلها الله تعالى حجة نبوته وأمره بالتحدي بها في جملتها تارة وبعشر سور مثله وبسورة من مثله وبالاحتجاج ببعض مااشتملت عليه تارات أخرى هي القرآن وحده وما كان ﷺ يرجو بها أن يكون أكثر الانبياء تابعا يوم القيامة إلا لان هذه الآية أعظم وأظهر وأبهر وأقهر من كل آيات الانبياء إجمالا وتفصيلا، وقد فهم هذا المعنى وأدرك هذه الحجة بعض حكماء الافرنج فصرح بأن قراءة النبي ﷺ للقرآن كانت أقوى من كل معجزات الانبياء جلها إلى الاعجاز

وقد زعم الالوسي وغيره أن قوله تعالى (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) حجة على أن المراد بالآية انشقاق القمر ، ولو كان كذلك لقال : فاعرضوا وقال سحر مستمر [illegible] للاستقبال [illegible] الشأن . ولا علاقة بين انشقاق القمر [illegible] الآية يطلق في القرآن على كل مايدل على وجود الله ووحدانيته في ربوبيته وألوهيته وقدرته ورحمته وحكمته وعلى مايؤيد به رسله ، وأكثر مايذكر فيه الاعراض عن الآيات في القرآن يراد به هذه الدلائل أو آيات القرآن كقوله تعالى في النوع الاول (وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون) وقوله في النوع الثاني (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين) وأما قولهم (سحر مستمر) فأول ماقالوه في القرآن وهو ماحكاه عنهم في سورة المدثر (إن هذا إلا سحر يؤثر) وهي ثالثة سورة نزلت بمكة أو الرابعة على القول بأن الفاتحة أول مانزل ، وفي معناها آية سبأ (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين) وآية الزخرف (ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون)

وإنك لترى أوائل سورة الانبياء بمعنى أوائل سورة القمر وهي (اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ، ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا

استمعوه وهم يلعبون ٭ لاهية قلوبهم وأسروا النجوى الذين ظلموا : هل هذا إلا بشر مثلكم ؟ أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ؟)

(ط) تأييد الاسلام في هذه المسألة وأمثالها

إننا نختم هذا البحث بتنبيه قراء المنار لأمر عظيم الخطر والشأن وهو ان العلماء الذين تساهلوا بقبول روايات انشقاق القمر وجعلها آية كونية حسية جعلت حجة على كفار مكة عندما اقترحوها، وتمحلوا في الاجوبة عن الاعتراضات العقلية الاصولية عليها ، فجاؤا بما لا يقبله العاقل المستقل — إنما حملهم على ذلك حب تكثير المعجزات النبوية كما تقدم وتفنيد منكريها ، لأن العوام يفهمون من إعجازها مالا يفهمون من إعجاز القرآن ، وقد تغيرت الحال في هذا الزمان الذي كثر فيه استقلال الفكر ورفض التقليد في أكثر الأقطار ، فصارت هذه الروايات تعد طعناً في علم المسلمين وعلمائهم ، ويخشى أن تعد طعناً في الاسلام نفسه ، والحق أنها ليست من أصول الاسلام ولا من فروعه ، فأصول العقائد الاسلامية لاتثبت إلا بدليل قطعي ، وهذا أمر مجمع عليه بين المسلمين ، والدليل القطعي إما عقلي وإما نقلي ، والنقلي هو النص القطعي الدلالة عن الله ورسوله ، والآية ليست قطعية الدلالة على كون الانشقاق هو صيرورة القمر فلقتين منفصلة إحداهما عن الاخرى كما اعترف بذلك الذين فسروها بذلك وآخرهم الالوسي ، وقد بينا نحن ان دلالتها على ما ذكر مرجوحة ، فما كانت لتخطر على بال أحد لولا تلك الرواية المتوقفة بنص القرآن والحديث المرفوع المتفق عليه . وسائر الروايات ليس فيها شيء يصلح لتفسير الآية به إلا من وجه بعيد لايعد نصاً ولا ظاهراً فيه ، وهو عد انشقاق القمر من علامات قرب الساعة بالتبع للآيات في انشقاق السماء ، وانفطار الكواكب أو المتحول في عموم الثاني ، إذ لم يذكر القمر في آيات الساعة الا في قوله تعالى (فاذا برق البصر ٭ وخسف القمر ٭ وجمع الشمس والقمر) الخ

ومن الدفاع عن الاسلام وعلماء المسلمين يحق ان يقال لهؤلاء المستقلين في الفكر ان الاسلام لايكلفكم أن تؤمنوا برواية انفرد بها قتادة المدلس عن

أنس في خبر قد علم باليقين انه لم يحدث فيه عن رؤية ومشاهدة بل عن سماع من مجهول يجوز أن يكون كذابا ، ولا يكلفكم الاسلام أن تؤمنوا بأن الاصل في مرسل الصحابي أن يكون مقبولا لان هذا انما يكون عند تلقيه بالا اعتراض ولا علة في متنه ولا شذوذ ، وحديث أنس خالف جميع الروايات عن غيره .بل الاسلام ينها كم أن تقبلوا حديث أي إنسان عن صحابي وغيره يخالف نص القرآن ، وسنن الله في الاكوان

ومن اطمأنت نفسه من المسلمين بقبول سائر تلك الروايات على علاتها وكان ممن يرى مخالفة النقل القطعي والعقل ، أهون من مخالفة زيد وعمرو ، وصدق عقله أن تقع هذه الآية ولا يحدث احد من الخلفاء الراشدين ولا غيرهم من قدماء الصحابة بوقوعها والاحتجاج بها فضلا عن تواترها ، فليس له أن يجعلها من عقائد الاسلام وينفر مستقل الفكر ومبتغي الدليل من المسلمين وغير المسلمين منه

(ي) ذيل في مسألة الثقة بالروايات



قد يعجبك في صدور بعض الناس [illegible] مسألة الثقة بالروايات وعدم الثقة بها ، يقول بعض الناس اذا بطلت الثقة [illegible] في هذه المسألة على كثرتها ، بطلت الثقة [illegible]

ونقول لهذا القائل [أولا] إن تحقيق الحق بالدليل هو مقدم في الاسلام على توثيق الرواة وتقليد العلماء [وثانيا] إن كثرة هذه الروايات إلى قلة بعد ما علمت من اضطراب أسانيدها ومتونها وعللها ، ورب حديث واحد مروي من طريق واحد أقوى دلالة منها ، ـ كحديث «انما الاعمال بالنيات» مثلا . وجملة القول ان عدم الثقة بها لا يقتضي عدم الثقة بغيرها ، وإنما يقتضي أن في كل ما عدا القرآن من الكتب مسائل تحتاج إلى التمحيص مصداقا لقوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) [ثالثا] ان جملة الروايات انما تدل على ان بعض الصحابة وبعض الكفار رأوا القمر قد انشق فصار فرقتين في لحظة من الزمان ، ولا ضرر في تصديق ذلك مهما يكن سببه ، وانما الضرر أن يجعلوه آية مقترحة جعلها الله حجة على صحة نبوة رسوله ﷺ وانه يجب على كل مسلم أو كافر يريد الاسلام ان يؤمن بذلك (والله يقول الحق وهو يهدي السبيل)

ترجمة جديدة للقرآن الكريم

(رسالة الأمير شكيب ارسلان)

من المستشرقين الكبار الذين يليق ذكرهم ويصح الاستشهاد بأقوالهم الاستاذ أدوار مونته Edouard Montet مدرس الألسن الشرقية في جامعة جنيف، وهو مشهورون الاوربيين من جميع الاجناس، فتجدمؤلفيهم يستشهدون بكلامه في المسائل الشرقية والاسلامية ويقدرون آراءه قدرها

والاستاذ مونته هو من القسم المنصف بين المستشرقين لا يتحامل على الاسلام ولا يقصد في مباحثه إظهار عورات ومثالب الاسلام كما يفعل غيره، بل بحثاً كم عقيدة الاسلام وتاريخ الاسلام وكل شيء عائد الاسلام بحثاً كمن ينظر إلى الاشياء كما هي لا كما يخيلها الوهم، أو [illegible] كما هو دأب كثير من الاوربيين الذين يخوضون في هذه المباحث وصدورهم ملأى [illegible] وسوء النية . وليس المسيو ادوار مونته [illegible] مقدمات [illegible] الدينية الاسلامية، أو انه [illegible] لا خدمة فيه عيناً ولا يدل عليه مطعناً . لا . ان المسيو مونته لم يتخذ الاسلام ديناً، وربما كان غير معتقد بكل ما في النصرانية أيضاً، فهو يقول فيها آراءه بكل صراحة، ويحسّن منها ما يراه حسب نظره حسناً ويقدح [illegible] وقد بدرت منه انتقادات ومؤاخذات في كلامه على تاريخ الاسلام تدل على كونه غير دائن بدين محمد ﷺ لكنها تدل أيضاً على انه غير مضمر سوءاً ولا متعمد اذى . ولهذا آثرنا أن ننقل بعض كلامه لانه لا يمكن أن يؤتى من قبل تعصب للاسلام ولا أن يقال عنه انه مسلم يدافع عن عقيدته

وقد نضطر إلى تصحيح بعض معلومات ناقصة جاءت في كلام الاستاذ المذكور أو إلى بيان رأينا في المسائل التي تختلف وجهتنا عن وجهته فيها

فمن الكتب التي صنفها الاستاذ ادوار مونته كتاب جليل اسمه الاسلام L'islam أخرجه سنة ١٩٢٣ وطالعناه وأشرنا على مواضع كثيرة منه لنقلها إلى اللسان العربي، وكانت تعوقنا عن ذلك كثرة الاشغال . وكتاب آخر أخرجه في السنة

الماضية يحتوي على ترجمة القرآن المجيد بتمامه إلى اللغة الفرنسية طالعنا جانباً منه وقابلنا الترجمة بالاصل فوجدنا الترجمة حرية بأن توضع في الطبقة الاولى من تراجم القرآن الكثيرة . وقد صدَّر الاستاذ مونته هذه الترجمة الثمينة بمقدمة نفيسة ننتقل إلى قراء المنار عدة انموذجات منها . وها أنا ذا أنشر الترجمة الحرفية لديباجة مقدمته كما يلي :

«القرآن في الحقيقة هو ذو قيمة خارقة للعادة فهو بين الكتب الدينية من أعظمها شأناً . وهو يشتمل على الحياة الروحية لقسم من النوع الانساني يقدَّر بمائتين وخمسين مليوناً على الاقل . ومن أهم ما في القرآن استقاؤه من المنابع اليهودية والمسيحية : التوراة العبرانية والتقاليد اليهودية من جهة ، والانجيل والتقاليد النصرانية من أخرى[1]

والعقيدة القرآنية إذاً هي ذات علاقة وثيقة مع العقيدة اليهودية والعقيدة المسيحية ، والآثار التاريخية اليهودية المتعلقة بالانبياء والآباء وكذلك الآثار النصرانية المتعلقة بالمسيح هي موضوع صفحات عديدة من القرآن [illegible] في الفكرة الدينية بين الاسلام والنصرانية هو واصل إلى الحد الذي لا يفهم معه الانسان لماذا وجد المسيحيون والمسلمون أعداء إلى هذه الدرجة [illegible] بعض معارك هي في الواقع مصارعات اخوان لإخوان تلك التي ضمخت القرون الغابرة بالدم العزيز؟

على انه لا ينبغي أن يفهم من هذا الاتحاد في أصليْ الاسلام والنصرانية أن الاسلام القرآني فاقد الاستقلال وانه ليس ذا صفة خاصة أصلية ، فالامر بالعكس والاسلام دين لا يمكن خلطه مع دين آخر من الاديان السابقة فهو دين سامي تحت صورة عربية خاصة تتجلى فيه روح اللغة العربية

(١) المنار : ان جميع المسلمين يخالفون المترجم في هذا الرأي ، يؤمنون بأن جميع ما في القرآن من عقائد اليهود والنصارى وأحوالهم وتاريخهم هو وحي من الله تعالى وافق ما عندهم من الحق ، وأبطل ما ابتدعوا من الباطل ، وأن النبي ﷺ كان أمياً هو وقومه كما قال تعالى (١١ : ٤٩ تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا) (٢) سبب هذا نزعة الحرب الصليبية التي أشعلت نارها الكنيسة الكاثوليكية ولا تزال تراعى في التربية العامة في مدارس أوربة وبيوتها كما صرح به الدكتور غوستاف لون الحكيم الفرنسي الشهير . وقد وجد الساسة الاستعماريون أن في مصلحتهم بقاء هذه النار مستعرة

ولا ينبغي لقارئ القرآن أن يعجب من التكرار الذي يجده فيه فمن مثل هذا التكرار معهود في أعظم الكتب الدينية مثل التوراة ومثل كتاب الاقتداء بالمسيح الذي هو الغذاء الروحي للنفوس المسيحية[(١)] والقارئ يجد في القرآن صفحات في غاية الابداع سواء من جهة الفكر، أو من جهة القالب الذي وضع فيه الفكر، وكذلك يجد فيه لآلئ فريدة في علم الروح معروضة في آيات هي أعلى ما يمكن من الاسلوب الشعري[(٢)] وهو فيه أسلوب قائم بذاته، وفي القرآن منازع دينية ذات سعة مدهشة لاسيما بالنسبة إلى العصر الذي عاش فيه ذلك المصلح العربي، فالابداع يتلألأ في عبارات القطع الباهرة تلألؤ الكواكب الكبرى، ولا غرو أن ينظر اليها القارئ، كمثال أعلى للاسلوب الشعري الشرقي

ومما يجعل للقرآن هذه الاهمية انه الكتاب الديني للامم الاسلامية التي تمثل في شرقي أوربة وفي العالم الآسيوي وفي ماليزيا وفي افريقية دوراً ليس مهماً وحسب بل دوراً ذا صلة شديدة بالامم الغربية المسيحية

وتظهر عظمة هذا الدور [illegible] في المستعمرات الاوربية التي هي في مختلف أقسام العالم الشرقي [illegible] الاوربية والبلدان التي تحت الانتداب [illegible]

فأوربة مكلفة في وجودها اليومي للامم الاسلامية التي هي تحت حكومتها أو هي ذات علاقة شديدة معها، ولقد ثبت هذا الامر ثبوتاً كل أحد يعلم مقداره في الحرب العالمية من ١٩١٤ إلى ١٩١٨

وأخيراً نقول ان الذي يجعل للقرآن هذه الاهمية الخاصة التي نشير إليها هو المستقبل المدخر للشعوب الاسلامية إذ لا ينكر أن مستقبلا فخما ينتظر هذه الشعوب على مقدار ما يقتبسون من الحضارة الاوربية

فتركيا وسورية وبلاد العرب وفارس وأفغانستان وشعوب شمالي افريقية

(١) المنار: لا ترسخ العقائد ولا الآراء التامة في الانفس الا بتكرار ورودها عليها والتكرار في القرآن من أساليب بلاغته المعجزة للبشر كما هو مبين في محله

(٢) المنار: يريد الكاتب بالاسلوب الشعري التعبير المؤثر في النفس من التشبيه والتمثيل والاستعارات الجميلة والكنايات اللطيفة لا صناعة نظم الشعر التي نزه الله القرآن والنبي عنها

والثمانون مليون مسلم الذين في الهند الانكليزية والثلاثون مليون مسلم الذين في الصين والشعوب الاسلامية التي لاتكاد تحصى في ماليزيا (جاوى سومطرة الخ) هي كلها على مراحل متفاوتة من قبول الحياة الاقتصادية والصناعية والفكرية التي عليها اوربة

وإن هذه النتيجة قد تكون غير منتظرة عند من يجهل هذه الامم أو من لم يقدر ان يفهمها حق الفهم او لم يوفق لفهم عقيدتنا التوحيدية التي هي أعلى صورة روحية وجدت في دين بشري سواء عند الامم السامية أو الآرية » انتهى

ولابد لنا ان نعقب على هذه الديباجة ببعض ملاحظات ، منها ان الواقع في عدد المسلمين انه ٢٥٠ مليوناً على الاقل ، ولقد اصاب جداً في قوله [على الاقل] لان المسلمين على التحقيق يزيدون على ٣٠٠ مليون نسمة وربما كانوا ٣٣٠ مليوناً

واما قوله « ان للمسلمين مستقبلا عظيما على قدر مايقتبسون من الحضارة الاوربية فليس معناه ما تذهب اليه ملاحدة تركيا وما يقلدهم فيه هذا النفر القليل الملحد المتفرنج في مصر والعراق وسورية من انه يجب عليهم نبذ العلم الديني الاسلامي وأن يستبدلوا [illegible] مستقبلية إسلامية . لا ، هذا لم يخطر ببال [illegible] في كثير ولا قليل ، ولو كان هذا مقصده [illegible] معجبا إلى ذلك الحد [illegible] مبادىء الاسلام وأصوله ، ولما كان ألف فيه هذه الآليف الممتعة ولما قال « انه أعلى صورة روحية وجدت في دين بشري سواء عند الامم السامية أو الامم الآرية » (أي الاوربية)

وإنما كان مقصد الاستاذ موته العلوم الاقتصادية والصناعات التي تفوقت بها أوربة اليوم والاساليب الصحيحة التي تسير عليها في حضارتها ، وهذه يندب شرعا الاطلاع عليها والتحقق بها ، حتى لايفوت المسلمين شيء من اسباب القوة والنعمة وحتى لا يكونوا مقصرين فيها عن شأو أعدائهم أو أندادهم ، وهي لعمرى مما يقترن بالتعليم الديني الاسلامي ، بل مما تزداد الرغبة فيه بقوة هذا التعليم وتأثيره كما ان الامم الاوربية واليابانية قد بلغت هذه البالغ القاصية من هذه العلوم الحديثة والصناعات الناشئة عنها ولم تزل متمسكة بأديانها وعقائدها ، ولم يبرح التعليم الديني عندها سائراً جنباً إلى جنب مع التعليم الطبيعي والروح فيهما حياً مع المادة

لوزان ١٩ أكتوبر ١٩٢٩ شكيب أرسلان

قواعد الصحة فى الاسلام منذ ١٣٤٨ سنة

﴿ وقواعد الصحة في أوربا بعد ١٣٤٨ سنة ﴾

(بقلم الدكتور زكي كرام العربي الدمشقي في برلين وتصحيح المجلة)

ذهب بعض أدعياء العلم إلى أن العلة الوحيدة التي حرم الاسلام من أجلها أكل لحم الخنزير هي عدم وجود مجاهر (آلات مكبرة للاجرام) لفحص جرثومة الخنزير المسماة باللاتينية [تريخينا سبيرالي] (Trichina Spirali) وتسميها العوام على الاطلاق بخس معناه بالعربية [الدود الشعري] وقد ادعت تلك الفئة الضالة ، التي هي لكل حرام بل لكل مضر محللة ، انه لو ولد عليه الصلاة والسلام في البلاد البادرة لما منع شرب الخمور ، وبهذه الاضاليل والترهات يريدون أن يضلوا عباد الله ، بتجرئتهم على محارم الله ، وقبل أن نخوض في البحث العلمي نقول إذا كانت حكمة الاسلام في تحريم لحم الخنزير هي عدم وجود مجاهر لفحص اللحم والتريخين من الخنزير فهذا لعمري من أقوى الحجج (١) الذي يؤيد رسالة هذا النبي العظيم وبأنه لا ينطق عن الهوى ، وإنما هو وحي يوحى

إنني ممن يؤيدون تلك القواعد والأوامر والنواهي السامية لانطباقها على العلم والمنطق وعليه أقول مع ذلك انه لو كان لدى الرسول ﷺ مجهر أو لو كان لهذه الدودة القتالة علائم تظهر على الحيوان الموجودة فيه فيتجنبه الناس لما كان ذلك كافياً لاباحة أكل لحم الخنزير حتى الخالي من تلك الدودة ، فثم أسباب صحية أخرى

---

(١) المنار : الحق ان علة تحريم أكل الخنزير ضرره لا عدم وجود الآلة التي يرى بها الدود الذى يتولد منه معظم الضرر الخاص به . فان هذه الآلة قد وجدت في هذا العصر في بعض بلاد الحضارة الآلية ولكن أكثر بلاد الدنيا خالية منها والتشريع العام يجب أن يكون موافقا لمصالح جميع البشر في كل مكان وكل حال ولا يجوز تقييده بحال بعض البلاد ، ولا أن تتفاوت فيه الجماعات ولا الافراد ، والله تعالى هو المحرم للخنزير في التوراة والقرآن ، لا موسى ولا محمد عليهما الصلاة والسلام

لتحريمه فقد أثبت علماء هذا الفن من أطباء العصر أن المتهمكين المواظبين على أكل لحم الخنزير يصابون بتشحم القلب والكبد وبالتشحم العام أيضا. ومرض التشحم القلبي والكبدي والتشحم العام ومضراته معلومة لدى الجميع فنضرب عن بيانه صفحاً ونكتفي بما دلت عليه الاحصاءات الامريكية والاستقراءات العلمية بألمانيا من توقف حفظ الصحة على الكف عن أكل لحم الخنزير لان ذلك التشحم هو السبب لموت الكثيرين في عنفوان الحياة وسن الرجولية الحقيقية من ٤٠ — ٥٠

واليك أيها القارئ نسبة الوفيات التي تثبت هذا المدعى: قرر البروفسور غرافه في موسوعه الخاص وكذا الاحصاءات الامريكية اننا لو قسمنا الذين في سن الاربعين إلى سمين ونحيف لوجدنا انه لا يصل إلى سن الستين من السمان أكثر من ستين في المائة ومن النحفاء أقل من ثمانين وأما الذين في سن الخمسين فلا يصل من السمان منهم إلى السبعين [illegible] من ٣٠ في المائة ويقابل ذلك ٥٠ في المائة من النحفاء، وإذا انتقلنا [illegible] إلى سن الثمانين نرى انه لا يصل اليها الا ١٠ في المائة [illegible] بنصح الاطباء العقلاء بالكف عن أكل [illegible] الشحم.

الخمور

وأما الخمور فقد كنت كتبت منذ بضع سنين شيئاً في مضارها وبما اني رأيت ان الوقت بحاجة إلى مواصلة البحث والتنقيب فسأنتهز ان شاء الله كل فرصة أختلسها من وقتي الضيق لبيان مضرات هذه الآفة وأرى من الضروري الآن أن أكتب كلمة في الموضوع الذي أنا بصدده فأقول

مضرات الخمر ثبتت للعالم الفني العلمي الذي يتوسل بكل مالديه لافهام الشعوب مضراتها ليستريح البشر مما يعانيه من تلك الآفة، إن كثيراً من التجار الفجار، ومن الجواسيس الناحسين، ومن اللصوص الافاكين، ومن الجناة الخائنين، لايفتكون بحياة عبيدهم أو عدوهم وهو [الفكر الصحيح] ولا يأخذون

منه بحق أو باطل إلا بالخمر. فالحرارة التي يحدثها الكحول المؤثر في الخمر لاتدوم إلا ثواني أو دقائق يعقبها برودة لا يتحملها الجسم، فيتطلب الحرارة مرة أخرى بالشرب، ولا يلبث أن يعقبه رد الفعل، وهكذا تكون الحرارة بين طلوع ونزول إلى أن يغمى على المدمن ولا يعرف أين هو وما تجني يداه من الآثام، وكثيراً ما يصفون الكحول للمصابين بالحمى فيشعر المريض بعد بضع ثواني من تعاطيه بسقوط الحرارة ولكن هذا الشعور ليس ناشئاً عن سقوط درجة الحرارة سقوطاً حقيقياً بل هو شعور كاذب يحدثه الكحول

وأما النشوة التي يتلذذ بها المدمن فسببها طرو خلل على وظائف الخلايا، ونتيجة الاستدامة على تعاطي تلك الآفة هي الجنون أو مادونه من اختلال العقل وكثيراً ما تحدث أمراضاً تحار الاطباء في تشخيصها، ولذا نرى أوربة اليوم تحاول اتخاذ وسائل تدريجية لانقاذ الشعب من هذه الآفة كما أن الاسلام حرم الخمر تحريماً تدريجياً بقوله تعالى (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) وقوله فيها وفي القمار (وإثمهما أكبر [illegible] في بعض الاوقات وبعضهم تركها البتة بعدما نزلت آية التحريم القطعي (فاجتنبوه لعلكم تفلحون) وأوربا بدأت اليوم تمنع الخمر منعاً تدريجياً [أي بعد أن منعتها الولايات المتحدة الامريكية منعاً عاماً قطعياً] وبصورة اختيارية مبنية على حفظ الصحة

واليك أيها القارئ، نشرات صحية اصدرتها جمعيات الالعاب الرياضية بأوربا: جاء في مقدمة نشرة جمعية السباحة المسماة [ويكينجر يوته] ما نصه: يجب على الذي يريد أن يشترك في السباق ويكون من أبطاله أن يعتني قبل كل شيء بصحته ويكون صحيح الجسم ولأجل أن يكون صحيح الجسم [والعقل] يجب أن يتبع النصائح الآتية:

١ ـ يجب الانقطاع عن تعاطي جميع المشروبات الكحولية أياً كان جنسها [يعني الامتناع عن البيرا أيضاً]

٢ ـ يجب الاعتصام بترك التدخين تماماً أياً كان نوعه، وجميع المواد الناركوتيكية

٣ ـ التباعد عن الزنا بكل ما يدخل في الامكان (هذا بمعنى قوله تعالى [ولا تقربوا الزنا] الآية)

ويقول في السطر ٥١ و٥٣ من تلك النشرة الصحية « أحسن شيء يروي العطش وينفع الجسم هو الماء الزلال الصافي الرائق غير المثلج » وفي سطر ٦٢ « يجب على كل منتسب إلى الجمعية أن يكون مثال الأخلاق الحسنة بتحاميه كل شيء فيه ضرر للجسم »

وإني اطلعت على التقارير التي تنشرها البعثات للبلاد الباردة وأخصها بعثات القطب الشمالي أن أكثر الذين يموتون من تأثير البرد هم الذين يدمنون الخمر ، وأما الذين لا يدمنون الخمر فهم أكثر صحة ومقاومة للبرد

فهل بعد ذلك للملحدين الذين يتوسلون بالحجج الداحضة والأقوال الفارغة لتحليل ما حرم الله أن يقولوا انه لو بعث سيد الخلق في البلاد الباردة لما حرم الخمر ؟ (وانما الذي حرم الخمر هو الله الذي خلق البلاد الباردة والحارة)

أم عندكم أيها الملحدون آية تجعل النور ظلاماً والظلام نوراً ؟ أم تريدون فوق كل ذلك جعل الفضيلة رذيلة والرذيلة فضيلة ؟

انما التجدد أيها الملحدون بقيام الحرمة على المحافظة على الأبدان والأرواح لا بتسميم الجسم والعقل وتجريده من الفضائل

[حاشية] سنأتي ان شاء الله قريباً بنبذة على الترخيص

الدكتور زكي كرام

[المنار] ان قول هذه الجمعيات أن افضل ما يشرب هو الماء النقي ذكرني مالا أنساه من قول المقتطف لمن سأله عما يقال في الجعة (البيرا) من تغذية وتحليل: ان لقمة من الخبز أكثر تغذية من كوب من البيراء وان جرعة أو كوبا من الماء أحسن أو أشد تحليلا من قدح من البيرا . وأما شربها للذة فذلك شيء آخر . أي فلماذا يكذب عبد الشهوة على نفسه وعلى الناس كما يفعل الآن دعاة التجديد الالحادي في الترغيب في لبس البرنيطة وتهتك النساء وغير ذلك باختلاق منافع للرذائل أو لمحاربة المشخصات القومية والملية التي يراد بها جعل الأمم الشرقية غذاء سهل الهضم على معدة الدولة المستعمرة

ثورة فلسطين - أسبابها ونتائجها

﴿حقائق في بيان حال اليهود والانكليز والعرب والرأي في مستقبل العرب والشرق﴾

(١)

حقيقة حال اليهود

(١) من الحقائق التي أثبتها التاريخ أن الشعب الاسرائيلي أو اليهودي من أشد شعوب الارض شكيمة ، وأقواها عزيمة ، وأثبتها وحدة ، وأعمها تكافلا ومن ثم كان أشدها أثرة وعصبية ، وكانت جامعته النسبية الملية المزدوجة غير قابلة للذوبان ولا للاندغام في أية جامعة أخرى من الروابط البشرية كالوطنية واللغوية وغيرها ، فهم يشاركون كل قوم في أوطانهم ويزاحمونهم على منافعها المادية والمعنوية ويظلون مع ذلك محافظين على جامعتهم لاتقبل شعباً آخر أن يندغم فيها ، ومن [illegible] بلاد فلسطين ظلوا يقاتلون اهلها حتى [illegible] ثم كانوا يقاتلون جيرانهم من حولها ، ومن قواعد شريعتهم (التوراة) أن يستأصلوا القوم الذين يغلبونهم على أمرهم (حتى لا يستبقوا منهم نسمة ما) ومن آثرتهم انهم لا يعترفون لغيرهم بمثل الحق الذي انتزعوا به فلسطين من اهلها ، بل يدعون انها صارت ملكا لهم الى الابد

(٢) من الحقائق التي أثبتها الوحي مع التاريخ ان الله تعالى بعث فيهم أنبياء وربانيين ، وأئمة يهدون بالحق وبه يعدلون ، وعباداً صالحين ، وان الله أراهم من آياته وآتاهم من نعمه مالم يؤت أحداً من العالمين ، ولكنهم كانوا يتمردون على موسى كليمه ويؤذونه في حياته ، وقتلوا بعض أنبيائهم من بعده ، وفسقوا عن امرهم وأمره ، وعثوا في الارض مفسدين ، حتى انهم عبدوا الاوثان مراراً ، وتركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، واستحلوا ظلم غيرهم وأكل اموالهم بالربا وغيره — فسلب الله ملكهم ومزقهم في الارض كل ممزق ، وسلط عليهم الامم

تفنه بدم وتستنفرم ، قال الله تعالى فيهم (ضربت عليهم الذلة أينما ثقفوا إلا بحبل من الله وحبل من الناس) فالذلة فقد الملك والسلطان، وحبل الله ماجاءهم به شرعه من حقوق العدل بدخولهم في ذمة الاسلام ، وحبل الناس مالقوه من حماية المسلمين من قبل ومايلقونه من حماية بعض الدول الآن

اليهود والاسلام والمسلمون

(٣) من الحقائق الثابتة المعروفة في السيرة النبوية والتاريخ الخاص والعام ان النبي ﷺ لما هاجر من مكة الى المدينة أقر من كان في أرضها من قبائل اليهود على دينهم ، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم ، على أن لا يوالوا ولا ينصروا عليه مشركي مكة وغيرهم من قومه ، وكتب بينه وبينهم كتابا في ذلك كانوا به أهل عهد وميثاق ، ولكنهم كانوا (ينقضون عهدهم في كل مرة) وينصرون المشركين عليه في القتال ، والمساعدة بالمال حتى اضطر الى قتالهم وإخراجهم من جواره ، ولكن أصحابه ومن بعدهم من قومه لما فتحوا البلاد ، وسادوا العباد أنقذوا اليهود من الاضطهاد ، وبعد ما كانت [illegible] من الظلم والاستعباد ، فلم يلقوا من ظلم [illegible] الحكومات العربية ، وغيرها من الدول الاسلامية ، فقد كانوا مساوين للمسلمين في الحقوق وكانوا يتلقون ما يشاؤن من العلوم في المدارس والمساجد ببغداد والاندلس في صفوف المسلمين وحلق دروسهم كأنهم منهم

اليهود وسلطان الكنيسة

(٤) من الحقائق الثابتة المعروفة في تاريخ القرون الاخيرة ان اليهود الذين تلقوا العلوم في الاندلس ولاسيما تلاميذ الفيلسوف ابن رشد كانوا من حملتها الى أوربة ومن اسباب انتشارها فيها ، وانهم استطاعوا بتكافلهم وكيدهم أن يثأروا لأنفسهم ولأساتذتهم العرب من سلطان الكنيسة الكاثوليكية التي اضطهدتهم هم والعرب في الاندلس بالتقتيل والتشريد والا كراه على النصرانية وذلك بما ألقوه من العصبية للعلوم وحرية الفكر التي ناصبت الكنيسة العداء في أوربة ، وأثارت عليها القتال حتى ثلت عرشها وقوضت سلطانها السياسي من العالم

اليهود والماسونية والمال

(٥) من الحقائق الثابتة الخفية ان الجمعية الماسونية التي ثلت عروش الحكومات الدينية من أمم اوربة والترك والروس هي من كيد اليهود وهم اصحاب السلطان الاعظم فيها، وان كان ذلك يخفى على كثير من اهلها او أكثر المنتمين اليها ، ومن غرائب كيد اليهود وقدرتهم التي دفوا بها جميع شعوب البشر ان الغرض السياسي الذاتي لهم من هذه الجمعية هو تأسيس دولة يهودية دينية في مهد الدولة الاسرائيلية التي اسسها داود وأتمها سليمان باني هيكل الدين اليهودي في اورشليم على جبل صهيون ، ولهذا سموها جمعية البنائين الاحرار، ويريدون بهم الذين بنوا هيكل سليمان، وأكثر أفراد هذه الجمعية يجهلون السبب الصحيح لهذه التسمية . فهل وجد في العالم أعجب وأغرب من قوم يهدمون ما عند غيرهم من سلطان ديني لاجل بناء ملة لا [illegible] ويسخرون أولئك الاغيار بمكرهم في الاجيال الكثيرة [illegible]

(٦) من الحقائق الاجتماعية [illegible] ان اليهود هم الذين وضعوا النظام المالي الذي هو قطب رحى المدنية الغربية الحاضرة في العالمين القديم والحديث، وأن لهم به النفوذ الأعلى في جميع الدول والامم «الرأسمالية» كما يقال في عرف هذا العصر، ومن عجائب كيدهم واقتدارهم أن اتخذوا أنفسهم بصفتهم المالية ان تظهر في مملكة المال ظهوراً تمكن به لغيرهم ان يسلبوا ثروتهم، أو يقتلوا عليها بعصبية دينية او وطنية ، كما امكنهم إخفاء شخصيتهم الملية في الجمعية الماسونية السياسية السابقة، وكذا الرمزية اللاحقة،

الجزويت والماسونية

(٧) من الحقائق الثابتة التاريخية أيضاً انه لم يوجد جماعة من جماعات البشر الدينية والسياسية عرفت كنه كيد اليهود ومكرهم في الامم ومقاصد الماسونية وأهلها وتصدت لمقاومتهم وإسقاط نفوذهم الا جمعية الجزويت الكاثوليكية ، وذلك ان الكاثوليك يدينون بوجوب الخضوع الديني والسياسي لأحبار رومية رؤساء الكنيسة المعصومين عندهم، ويعلمون ان اليهود هم الذين ثلوا عرشها بنفوذ الجمعية الماسونية التي

انتظم في سلكها الملايين من النصارى ومن غيرهم وأكثرهم لا يشعرون ، فلذلك بذلوا جهدهم في السعي لكشف الاستار عن أسرارها ، وساعدوا بأموالهم وأنفسهم لصد تيارها ، بتتبع حوادثها وتقليم أظفارها ، وتحريم الدخول فيها على من يدينون دينهم الكاثوليكي ، ويقلدونهم في فهمهم وعلمهم به ، وقد توسلوا إلى معرفة أسرارها بعقيدة الاعتراف الديني الذي استباح به كثير من الكاثوليك الحنث بالأيمان المغلظة ، ونقض العهود الموثقة ، بترجيح العقيدة الدينية على ما عاهدوا عليه الجمعية ، ولا سيما وقت الاحتضار ، حيث يغلب خوف النار في ذلك العار .

من خفي عليه نفوذ اليهود في أحرار أوربة الغربيا والوسطى وملاحدتهم وما كان من حربهم للكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى فلا أراه يخفى عليه ما كان من نفوذهم في ملاحدة الروس الذين أضعفوا سلطة الكنيسة الارثوذكسية بمجلس الدوما ، ثم اسقطوها بثل عرش القياصرة وتأسيس حكم البلشفية في تلك البلاد الواسعة ، وما كان من تقدم ملاحدة الترك باسقاط نفوذ الخلافة التركية العثمانية ، ثم بهدم الإسلام من الحكومة التركية ، وجعل حكومتها الحادية تسعى لمحو الاسلام من الشعب التركي ومن الشعوب الاعجمية الاسلامية التي كانت تابعة لها كالالبان والبوشناق وغيرها كالايرانيين والافغانيين

وهم — أعني اليهود — لا يزالون يدينون الله تعالى بتأسيس ملك ديني مدني في فلسطين ، يكون ملكهم فيه المسيح الذي ينتظرونه منذ ألوف السنين ، كما ينتظر جماعة النصارى والمسلمين المسيح الحق عيسى بن مريم عليه السلام ، الذي ورد في الاحاديث انه سيقتل مسيح اليهود الدجال ، اي الذي ينصبونه في فلسطين — فعقائد الملل الثلاثة في هذه المسألة متعارضة ، ولكن المسلمين والنصارى فيها متفقان على تكفير اليهود بجحود المسيح الحق وهو عيسى بن مريم البتول عليه وعليها السلام والطعن فيهما ، وكل منهما يؤمن به على الاختلاف المعروف بينهما في صفته ، وانما نقول هذا بيان للواقع المعروف لا لتحريض الفريقين عليهم على انهم استخدموا دول النصارى فظاهرتهم على المسلمين

(٨) كان اليهود متكلين على ما في كتب أنبيائهم من الانباء بمجيء مسيح [مسيا] يعيد ملك اسرائيل سيرته الاولى ويجمع اشتات أسباطهم ... ويعتقدون ان

مجيئه سيكون بقوة الهية فوق قوى البشر ، كما يعتقد أكثر المسلمين في المسيح و المهدي المنتظر ، فلهذا لم يكونوا يستعدون لاستعادة الملك بسعي الشعب ، فلما طال عليهم الامد ، وكثر فيهم أحرار الفكر الذين لا يؤمنون بهذا الوعد كما انتشر واستقر ، أسسوا الجمعية الصهيونية للسعي الى ذلك بقوة الشعب اليهودي المالية والمعنوية ، وبجعل الاعتقاد التقليدي حادياً لهم في هذا السعي وقوة روحية تؤيد سائر القوى الكسبية ، وهذا ما ابرزنا له المسلمين في أمر المهدي في كتابنا (الحكمة الشرعية) ثم في المنار ، وأين المسلمون من علم اليهود وحزمهم وتكافلهم ؟

تأسيس الصهيونية ومؤسسها

ان المؤسس للصهيونية كاتب من يهود بلاد المجر كان من علماء القانون (اسمه ثيودور هرزل) أنشأ في سنة ١٨٩٦ صحيفة باسم | دولة يهودية | للدعوة الى تأسيس هذه الدولة في فلسطين فتقبلها الكثيرون من اليهود في أقطار العالم بالبهجة والامل ، وارتاب كثيرون [illegible] ثم تأسست الجمعية الرسمية لها في العام التالي لانتشار الصحيفة [illegible] الاموال ويؤسسون الفروع ويعقدون المؤتمرات [illegible] خاصا وصنفوا لها (دائرة معارف) خاصة . وقد قرر المجمع أو المؤتمر الصهيوني الاول ما وضعه (هرزل) من غرضها وغايتها ومبرهنة لانشاء وطن شرعي للشعب اليهودي في فلسطين تعترف به الدول فيكونون فيها كالانكليز في الجزائر البريطانية والفرنسيين في فرنسة الخ فيؤسسون الدولة اليهودية (استعداداً لمجيء مسيا المنتظر ، الذي تخضع له شعوب البشر) وقرر الوسائل لذلك وهي المبدء باستعمار فلسطين (١) بامتلاك الارض وعمارتها بالزراعة والصناعة وسائر الاعمال الاقتصادية والمهن الحرة ، و(٢) بجمع كلمة الشعوب اليهودية في الشرق والغرب واتحادهم للتعاون على هذا العمل لتلك الغاية ، بانشاء الجمعيات في كل قطر بما لا يخالف قوانين حكومته ، و(٣) باحياء الشعور الاسرائيلي الملي وتقوية آماله في مآله و(٤) بالسعي لدى الدول لنيل عطفها على الصهيونية ومساعدتها على تحقيق أمنيتها

وقد افترص الصهيونيون انفجار براكين الحرب العامة في العالم فكان من

دسائسهم فيها مابيناه من قبل من خدمة الدولة البريطانية وحملها مع حلفائها على مكافأتهم على ذلك بالتأييد الرسمي لمقصدها ففعلت . وهذه ترجمة الوثيقة الرسمية بذلك المعروفة بوعد بلفور مثير الفتن ، وموقد نار الثورة ، وموقظ الامة العربية والشعوب الاسلامية من رقادها ، كما بلغه لزعيم اليهود المالي الاكبر :

عهد بلفور الجائر

« نظارة الخارجية في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧

« عزيزي اللورد روتشيلد

« أني بملء المسرة أنقل اليكم بالنيابة عن حكومة جلالة الملك التصريح التالي المفعم بالشعور مع مطامع اليهود الصهيونية الذي عرض على هيئة الوزارة وصدق عليه

« ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين الرضى الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين [illegible] المؤدية الى تلك الغاية على شرط أن لا يحدث أمر [illegible] يؤدي الى الاجحاف بحقوق [illegible] السكان غير اليهود دينياً ومدنياً أو يمس بالحقوق والمنن السياسية التي يتمتع بها اليهودي في أية بلاد أخرى

« وأكون في غاية الامتنان إذا تفضلتم باطلاع الاتحاد الصهيوني على هذا التصريح

لكم باخلاص

ارثور جيمس بلفور

اليهود والهيكل في حكم النصارى فالاسلام

(٩) كانت الحكومات المسيحية قد طردت اليهود من مدينة المسيح الحق واضطهدتهم أشد الاضطهاد وجعلت مكان الهيكل الذي دمره طيطس أخيراً مزبلة حتى غمرت الصخرة المقدسة في أعلاه بالاقذار ، فلما جاء الاسلام المكمل لدين الله الذي شرعه على ألسنة أنبيائه وآخرهم موسى وداود وسليمان والمسيح برسالة محمد خاتم النبيين عليهم الصلاة والسلام أعاد المسلمون تشريف ذلك المكان الذي سماه الله تعالى في كتابه بالمسجد الاقصى ، وأسرى بعبده ورسوله اليه في

أوائل بعثته ، وقبل ظهور أمره ، فنظفوه من الاقذار ، وبنى أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب (رض) مسجده هنالك ثم كان ما كان من أمر تشييد بني أمية للمسجد الكبير ولقبة الصخرة وأنفقوا عليه خراج مصر كله بضع سنين فكان ذانك البناءان من أعظم مفاخر الصناعة والهندسة في الارض ، وكان المسجد الاقصى اول القبلتين وثالث الحرمين ، وسيبقى كذلك مادام الاسلام والعرب في الارض

وكان من عدل المسلمين ورحمتهم ان رفعوا الاضطهاد عن رءوس اليهود وعاملوهم بالعدل والرحمة ، حتى انهم صاروا يأذنون لبعضهم بالاقامة في بيت المقدس مع تحديد العدد القليل وكذا بزيارة الجانب الغربي من سور المسجد الاقصى [البراق] بطلبهم ، وكانوا لا يستحلون تجاوزه بمقتضى تقاليدهم ، الى أن يجيء المسيح الذي ينتظرونه لاعادة الهيكل كله اليهم ، واقامة الشعائر والقرابين الموسوية فيه باعادة ملك سليمان فيه ، بالرغم من أنوف جميع المسلمين والنصارى في العالم ، وإنما كانوا يأذنون لأفراد قلائل منهم بما يتخذون لذلك من الوسائل حتى المالية ، فيقفون امام ذلك الجدار الذكرى [illegible] ويقوي أملهم بالتكاثر والتملك في المدينة المقدسة وفيما يتاخمها من فلسطين تمهيداً لامتلاكها ، واستعداداً لظهور المسيح مجدد ملك اسرائيل فيها ولكنهم استعجلوا الشيء قبل أوانه ، فعوقبوا بحرمانه

الصهيونية والعرب

(١٠) ما زال هذا الامل يقوى ويضعف ، ويطفو ويرسب ، حتى طمعوا في عهد السلطان عبد الحميد باباحة الهجرة والامتلاك بلا شرط ولا قيد ، ثم طمعوا على عهد دولة جمعية الاتحاد والترقي (التي أسقطت هذا السلطان وملكت على من بعده الامر بمساعدتهم) في شراء فلسطين من الجمعية ببضعة ملايين من الجنيهات ، ولما علمنا بهذه المساعي توخيت أن ألقى معتمد الجمعية الصهيونية بمصر فأستعرف له وأعترف الحقيقة وأعرفه برأي الجمعيات العربية في الامر ، واهتديت إلى ذلك بسعي بعض معارفي من اليهود ـ وكان مما كاشفت به المعتمد الصهيوني أن عزم جمعيتهم على شراء فلسطين من اخوانهم في الماسونية زعماء جمعية الاتحاد والترقي قد بلغ زعماء العرب المشتغلين بالسياسة وترقية الامة العربية وقرروا فيما بينهم انه إذا تحقق هذا التآمر وقع

بأي شكل من الاشكال فلا وسيلة عندهم لمقاومته إلا تأليف العصابات المسلحة من البدو وغيرهم لمقاومة هذا الاعتداء على بلادهم بكل ما يمكن من وسائل المقاومة المعهودة عند الشعوب الاخرى في أوربة بإغراء دولها الكبرى وإرشادها - وانه خير لليهود إذا كانوا يريدون أن يكثروا في البلاد العربية (فلسطين وغيرها) ويكونوا فيها أحراراً آمنين متمتعين بما يتمتع به سائر أهلها من الحقوق المدنية والشخصية أن يتفقوا مع زعماء العرب أنفسهم على ذلك من وسائل ومقاصد ، وأرى ان ذلك ممكن ... ولما فصلت له هذا الرأي أعجبه وبلغه لجمعيتهم وظهر له أثر في مؤتمر (بال) الصهيوني إذ صرح بعض أعضائه بالخطر الوحيد الذي يستقبلهم من قبائل العرب البدوية

ثم ذاكرت في هذا الموضوع زعيم الصهيونية الكبير الدكتور [وايزمن] بعد الحرب العالمية والشروع في تنفيذ عهد بلفور في اثر مذاكرات أخرى مع بعض رجال الجمعية في مصر والقدس وقف هو على تفاصيلها كلها . وكان ورد المجيء إلى مصر قبل الحرب [illegible] في اتفاق العرب مع أبناء عمهم العبرانيين [illegible] العرب وحكامهم المستقلون ... ثم انقطعت المذاكرة في هذه المسألة لاعتماد الصهيونيين على قوة الانكليز في اعادة ملك اسرائيل لهم وكل منهما يمكر بالآخر

خلاصة القول في قوة اليهود وضعفهم

(١١) خلاصة القول في اليهود انهم شعب من أعظم شعوب البشر يمتازون بخصائص في العلم والعمل والاقتصاد والاتحاد والتكافل والتعاون والحزم والعزم ونظام خاص في عمل البر والمعروف والمكر والدهاء والصبر والثبات واحتمال المكاره وعدم اليأس من مقصدهم الأسمى وهو الملك وان تمادت أسبابه ، وعظمت صعابه، واذا كانوا لم ييأسوا في أشد العصور اذلالا لهم ، وأعتى الاعاصير في تمزيق شملهم، فكيف ييأسون في هذا العصر وهم سدنة هيكل المعبود الاكبر للامم والدول العظمى وهو المال، وهم الذين استعبدوه لهم ، ومظاهر هذا المال في العالم المدني من النقود والصحف والقدرة على الدعاية التي تقلب الحقائق ، وتلبس الحق بالباطل؟

ولكنهم على كل ما أوتوا من هذه القوى المعنوية ، يئسوا بأولي قوة حربية، لانهم كما قال الله تعالى فيهم (أحرص الناس على حياة) وقد فقدوا ملكات الملك والاستقلال ، وليس لهم من البراعة في الزراعة واستغلال الأرضين عشر معشار ما لهم من استغلال النقود فهم يستمدون فيما يرومون من الاستقلال في الوطن القومي في فلسطين على قوة الانكليز تحميهم ، وعلى استغلال أهلها العرب في تمصير ما يسلبونهم من رقبتها بجعلهم أجراء فيها ، ولا يهولن أحداً طلب عشرة آلاف من شبانهم الامريكيين إذن حكومتهم لهم أن يذهبوا إلى فلسطين لقتال العرب لان الذي جرأهم على هذا هو ظل الدولة البريطانية ، لا ظل الدولة اليهودية والراية الصهيونية ، ولاشك ان الامة العربية الحربية بالطبع اقوى منهم مهما يكن جمعهم وعدد تهم ، وقد جمع غرور اليهود وعدوانهم أشتات الشعوب العربية في اوطانها ومهاجرها ... على ... فلسطين وحفظ وطنهم لهم ، واجتمعت كلمة العالم الاسلامي ... ولا قبل للدولة البريطانية بعداوة العرب والمسلمين ...

(١٢) لقد كان ... فيه على الروح الذي أثرنا اليمن أعاظم في الامم من دس السم في الدسم ، والصبر الطويل ، مع إحكام القصد البعيد ، بنصب الحبائل الاقتصادية لابتياع الارض بالتدريج ، وجعل الهجرة اليها بالسير البطيء ، ولكنهم استعجلوا وقد يكون مع المستعجل الزلل ، واغتروا باستخدام القوة الانكليزية وضمها إلى قوتهم وقد يحبط الغرور العمل ، وناهيك بغرور الماديين منهم بالمال ، وغرور المتدينين منهم ببشارات الانبياء ، وغرور السياسيين منهم بما أوتوا من المكر والدهاء ، ثم ناهيك بتأييد الدولة البريطانية لهذه القوى كلها بقوتها العظمى قوة التصرف في الامم ، والنفوذ في الدول ، إذ أعطتهم بها وطناً من أوطان الامة العربية التي تعدها من ميراثها ، وعند هذه الامة من بشارة نبيها في الظهور على اليهود ما هو أصرح من بشارات أنبياء اليهود المبهمة كما صرحنا به في العام الماضي وسنعود اليه بالتفصيل

(وسنبين في الفصل الثاني من هذا المقال كنه حال الانكليز وسياستهم مع العرب واليهود)

الفتنة في نجد

« أسبابها ونتائجها »

قد صار من المعروف عند جماهير الواقفين على شؤون الاقطار العربية وأهلها ان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود قد عمل في جزيرة العرب عملا لم يسبق له نظير إلا في صدر الاسلام من تحويل الاعراب عن عصبية جاهلية ووثنية وأمية الى التوحيد والعلم والحضارة بالتدريج ، جدد بذلك ما كان قد رث واخلولق من الاصلاح الديني والنهضة العلمية التي قام بها الشيخ محمد عبد الوهاب ، وأعاد بناء ما كان قد تهدم من دولة أجداده بعداوة الدولة العثمانية لهم ومجاهدتهم إياهم بالسيف والنار ، ثم الدعاية المنفرة عن امارته بدعوى كونها ناصرة لمذهب مبتدع جديد مخالف للسنة ، خوفا من تجديدها ملك الامة العربية ، وانتزاعها منها ما تدعيه من منصب الخلافة الاسلامية [illegible] حتى استتم له الأمر في معظم الجزيرة العربية ، [illegible] الراشدين ، بما نصب من قسطاس العدل المستقيم ، ومد من ظل الامان الوارف الظليل ، فأغنى الحاج عن الحرس والبذرقة (١) وهيأ لهم وسائل الصحة والراحة

وكان مما حاوله ، ولما يدرك فيه كل ما أمله إبطال البداوة من نجد وملحقاتها وازالة جهالاتها ومنكراتها ، فبنى لهم المهاجر ، وهيأ لهم فيها أسباب الزراعة والعمران ، بقدر ما في الامكان ، وقد كان كل ما في الامكان قليلا ، ولم ينتزع من قلوبهم ما رسخ فيها من جفوة البداوة ، ولم يقتلع من طباعهم ما ورثوه من حمية الجاهلية وانما صبغها التعليم الناقص بصبغة دينية ، فصار ما ألفوه من الغزو لاجل السلب والنهب ، واستباحة سفك الدماء لاخذ الثأر ، او شفاء حزائز الصدر ، مشوبا بقصد نشر التوحيد وازالة الشرك ، ولا يتم هذا الا بمعرفة ما يتوقف عليه من أحكام الشرع ،

(١) البذرقة الجماعة تتقدم القافلة للحراسة ، معربة او مولدة ، وبالمعجمة او المهملة اوبهما معا ؟ أقوال كما في المصباح

وهم لم يعرفوا كلهم من تلك الأحكام وجوب طاعة الامام في المنشط والمكره ، وتحريم الاثرة عليه والاستبداد دونه في الجهاد والامان ، واقامة الحدود وتقرير العقوبات ، فظل الراسخون في البداوة الجاهلية ، والعصبية العمية ، يخضع كل لرئيس قبيلته ، ويقاتل تحت رايته ، ويطيع الامام صاحب البيعة بطاعته ، لا بأمر الله واتباع شريعته ، وهذا عين العصبية التي نهى عنها النبي ﷺ وتبرأ من فاعلها بقوله « ليس منا من دعا الى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية » رواه أبو داود من حديث جبير بن مطعم (رض) ولم يعلموا أيضاً بحظر الغلو في الدين ، ولا انهم كانوا من الغالين بتكفير من لم يثبت كفره ، أو عقاب من لم تشرع عقوبته ، ولا أن حق إقامة الحدود وعقوبات التعزير للامام أو نائبه ، وكذلك إنكار المنكر والنهي عنه إذا لم يكن من المجمع عليه . وأما أهل الحضر منهم فيعلمون أكثر هذه الأحكام

وقد علم قراء المنار ما كان من أمر فيصل الدويش وقومه في غزو أطراف العراق والكويت [illegible] ذلك بعد نهيه اياهم عنه ، ومن عقده [illegible] عاصمة نجد في العام الماضي واقتراحه عليهم أن يبايعوا غيره اذا لم يكونوا راضين بحكمه ، وحثهم على انتقاد كل ما يرونه من أعماله مخالفاً لشرع الله أو لمصالحهم ، وما كان من مصارحة بعضهم إياه بما أنكروه من أخذه ببعض مستحدثات الصناعة المدنية كالسيارات والتلفون لجهلهم بحقيقتها ، ومن اقتناعهم بعدم حظر ذلك وأمثاله كما أفتى بذلك علماؤهم ، ومن إجماعهم على انكار ما فعلته حكومة العراق من اقامة الحصون في مراعي نجد ودون مياهها ، وتفويضهم الامر اليه في السعي لازالة هذه الحصون بكل وسيلة ممكنة حتى القتال ، وما تلا ذلك من تجديد مبايعته ، وإيجاب طاعته ، وشذ عن ذلك غلاة المتدينين باغواء زعيمين من شيوخهم هما فيصل الدويش وسلطان بن بجاد ، وأذاعوا ان الامام عبد العزيز بن سعود أبطل فريضة الجهاد وقتال المشركين فوجب عصيانه ، حتى اضطر الى قتالهم واخضاعهم في العام الماضي بالقوة ، ولكن فيصل الدويش هذا فر واختفى حتى ظن انه قتل

ولما عاد الامام الى الحجاز بعد هدوء الحال في نجد عاد هذا الخارجي المتعصب الى بث الدعوة لعصيانه ، وثبت عند حكومة نجد والعارفين من اهلها ان اعداء ملكهم افترصوا هذا الخلاف وسلوا دعاتهم من العراق والكويت الى نجد يحملون الألوف الكثيرة من الريالات والروبيات لمساعدة العصاة وتعميم الدعاية الى الخروج عليه فانتشرت في القبائل والهجر أو المهاجر التي لا تزال تغلب على اهلها أخلاق البداوة وعاداتها ، ولكن باسم الدين ودعوى مخالفة الامام عبد العزيز لأحكامه بموالاة المشركين من أهل العراق والانكليز جماتهم ، ومنع المسلمين من مجاهدتهم (ويعنون بالمسلمين انفسهم) وكذا اقراره مشركي الحجاز وغيرهم من أهل الامصار على ماهم عليه ، ومباحه لهم بالحج من غير أن يستتيبهم من الشرك ، ويلقنهم التوحيد الخالص ... وحاولوا نشر هذه الدعاية في بدو الحجاز كما نوه بذلك ناشرها في مصر ، وبنوا على ذلك الدعوة الى ترك الحج في هذا العام

وللمسلمين في هذه الفتنة عدة عبر :

(١) ان [illegible] من [illegible] الذين يرون الزعماء كفيصل الدويش هذا الذي [illegible] استغلال قوته في السلب والنهب ، والتلذذ بما ألفوا من الغزو ، وقد ذكر الملك في كتاب ارسله الى في العام الماضي أنهم اثنان فقط (يعني الدويش وابن بجاد) ولعلهم زادوا في هذا العام فكان منهم بعض شيوخ عتيبة والعجمان وغيرهم ممن أظهروا الخروج على الامام ، وهذا من الأدلة على ماهو مقرر في الشرع وجميع قوانين الامم من وجوب توحيد السلطة ، وحظر وجود زعماء في المملكة ، يمكنهم الانفراد بالحرب أو أي عمل من أمور الدولة ، بدون أمر الممثل للسلطة العليا من امام أو ملك او رئيس

(٢) ان العلم الناقص المعبر عنه بالجهل المركب قد يجني على الافراد والامة ما لا يجني عليها الجهل البسيط ، فان عوام القبائل النجدية التي خدعت بدعاية رؤسائها الطامعين ، وأعدائها الدساسين ، لا تعلم ان الاسلام الذي تحبه وتتفانى في الدفاع عنه يحرم عليها الخروج على الامام ، وتفريق كلمة الامة وان لم يفض الى القتال ، فكيف إذا جعل وسيلة لسفك الدماء ، وقتل المسلمين الموحدين بعضهم

البعض ؟ كما فعل الدويش وأمثاله في نجد ، والدويش يدعي ان الامام ابن سعود أخطأ وعصى الله تعالى في منعهم من قتال أهل العراق والكويت ، وان علماء نجد شايعوه على ضلالة وعصيته ، ولو كان لخواص قومه — ولا أقول لكل قومه — علم بشريعة الاسلام لعرفوا انه هو المخطئ لا الامام ، وانه لا يمكن أن يكون أعلم من علماء نجد الواقفين الامام بالشريعة ، ولعرفوا أن مذهب أهل السنة انه لا يجوز الخروج على الامام بمثل هذا الخطأ ان صح انه خطأ

ولو كان لهم عقل ورأي لعلموا أنه ليس من الدين ولا من العقل ولا من مصلحة أمتهم وبلادهم ان يقتتلوا لخلاف وقع بين إمامهم وشيخ قبيلتهم لان هذا يفضي الى ضعف أهل التوحيد كلهم ، وتمكين الكفار من إزالة ملكهم أو إضعافه

(٣) انما منع الملك عبد العزيز آل سعود هؤلاء الغزاة من أهل بلاده أن يغزوا العراق والكويت وشرق الاردن حباً في السلم وحرصاً على الوحدة العربية والجامعة الاسلامية فكان حرياً [illegible] هذه البلاد أن يردوا هؤلاء الغزاة أنفسهم بقتاله ، ورد [illegible] الاحتلال [illegible] أملا في ثل عرشه ، وعودة الحجاز إلى [illegible] الانكليز الذين ولوهم ملك العراق وشرق الاردن ويرجون أن يفوا بوعدهم إياهم بسائر البلاد العربية . وقد تناقل المشتغلون بالقضية العربية عن بعض أفراد هذا البيت وأشدهم صراحة في عداوة ابن السعود انه قال جهراً عندما تجددت فتنة نجد في الصيف الماضي وقبل علم الجمهور بها : ان عبد العزيز بن سعود لن يعيش أكثر من شهر بعد هذا اليوم ، فعلم من ذلك انه كان من جملة الدسائس السعي لاغتياله .

وتناقلوا أيضاً أن علياً ملك جدة الغابر ، وعبد الله ملك شرق الاردن الحاضر ، لم يزورا والدهما حسيناً ملك العرب او الحجاز السابق ، إلا لاقناعه بالانتقال إلى العراق حيث فيصل ملكها اللاحق ، أو معان التي سلخها انجلترا من المملكة الحجازية ، ووضعها تحت تصرف الجلالة البريطانية ، الا ليتولى ادارة هذه الفتنة ، وأنهما سعيا لدى الانكليز للاذن بهذه النقلة

وتناقلوا أيضاً ان سفر الامير عبد الله من شرق الاردن الى بغداد لعقد

للمؤتمر السري مع أخويه الملكين علي وفيصل في وقت اشتعال فتنة فلسطين وتهييج عرب شرق الاردن لمساعدة اخوانهم في القدس على اليهود — انما كان لاجل التدبير الذي يجب التعاون عليه في مسألة نجد ، ولاشك عندنا في براءة حكومة العراق وزعماء العراق من هذه الاعمال والدسائس وفي كراهتهم لها لانهم من أخلص زعماء العرب لأنهم يعدوا أكبر رجائها في تأسيس وحدتهم

وقد صرح داعية هؤلاء الحجازيين في مصر أمام بعض من كانه فيما يديه من تكبير أمر هذه الفتنة بأنهم متفقون مع فيصل الدويش فيها

وأما شيخ الكويت الذي (الصدف) فهو يحمل غلا واحنة على ملك الحجاز ونجد لانه أمر بتحويل تجارة نجد من ثغر الكويت الى ثغور بلاده في الخليج هربا من المكس (الجمرك) الذي تأخذه حكومته عليها ، وهو حق شرعي له لا يختلف فيه اثنان ، وهذا منتهى شوطه في الانتقام ، إلا أن يريد [illegible] في هذا البلد ، كأصحوا بكثير من الملوك والامراء في الشرق والغرب [illegible] وأعلم بالسياسة وأدرى .

(٤) لم تكتف [illegible] الاعمال السياسية لاستعادة ملك الحجاز [illegible] انما لاعادة الدعوة الى ترك الحج التي كانوا بدؤا بها في السنة الاولى لاستيلاء ملك نجد على الحجاز ، وقد بثوا هذه الدعوة في جميع الاقطار التي لهم أعوان وعمال فيها . ولو وصلت فتنتهم الى الحجاز ، وأمكنهم اثارة بعض بدوها للقتال والاعتداء ، لراجت دعوتهم بدعوى الخطر على الحجاج ، وأما احتجاجهم السابق عليها بالطعن في مذهب أهل نجد وملكهم فلم يعد له أدنى تأثير عند احد من المسلمين ، بعد ما تواتر بنقل مئات الالوف من حجاج جميع الاقطار في هذه السنين ، ان الحجاز في عصر ابن السعود خير مما كان في عصور الدول السابقة من الامويين والعباسيين إلى الترك العثمانيين ، أمانا وراحة وصحة وحرية شرعية لجميع المذاهب الاسلامية ، بل لا يسئل هنالك أحد عن مذهبه

الآراء في هذه الفتنة

ان الناس قد اضطربوا في أخبار هذه الفتنة لتعارض أخبارها باختلاف مصادرها ، فأهل الغيرة على الاسلام ودعاة الوحدة العربية ، ومحبو الرابطة

الشرقية، وأعداء السياسة الاستعمارية ، وخصوم الدولة البريطانية منهم خاصة — كلهم يتمنون النجاح لابن السعود في القضاء على هذه الفتنة بمنتهى السرعة ، لأن كل فريق منهم يعلم حق العلم أنه الركن الركين لمصلحتهم وسياستهم ، وما قرأت لأحد ولا سمعت من أحد ولا عن أحد منهم غير ذلك ، إلا عن شيخ واحد من أكبر سدنة القبور المعبودة أظهر التمني لانتصار الخارجي على إمامه الشرعي ، جاهلا أن ذنب إمامه عنده أنه منعه هو وغلاة أتباعه من قتال القبوريين وأنه يسمح لهم بالحج والعمرة ، ويقتصر على نشر دعوة الاسلام بالعلم والحجة ، والعمل بالكتاب والسنة دون القوة ، وجاهلا أيضا أن أولئك المسلمين من عرب وعجم ، والعرب من مسلمين ونصارى ، من أن تكون الدسائس الانكليزية هي المحركة أو المغذية للخوارج على ابن السعود بعد فشلها في محاولة الايقاع بينه وبين عرب العراق وشرق الاردن — وبعد أن أظهر العطف على عرب فلسطين وأعلن [illegible] وساعدهم بالمال ، وخشي أن يساعدهم [illegible] بالسياسة واللعب بها في بلاد هذا لا [illegible] بعض الانكليز لنصب الامير عبد [illegible] البريطاني ، القصد الوطن القومي اليهودي الصهيوني ، ولم يعثر أحد من الذين يعرفون كنه هذا الامير وأسرته بما أنذر به السلطة الانكليزية في القدس من عاقبة هيجان عرب شرق الاردن على اليهود ، ورغبتهم في الزحف لمساعدة اخوانهم في فلسطين بالسلاح — وبدوهم لا يزالون مسلحين — وغرضه من هذه السلطة التي هو موظف تحت سيادتها إما التعجيل بإطفاء نار الفتنة وإما إرسال جيش انكليزي إلى شرق الاردن لصد قبائله المسلحة عن الزحف الى فلسطين لقتال اليهود . فإن من المعلوم بالبداهة عند العارفين أن الباعث على هذا الانذار والاقتراح هو خوف الامير عبد الله المذكور على إمارته وعلى نفسه اذا استمرت الثورة ، وعجز عن الاستمرار على صد هذه القبائل عن الزحف كما فعل أول مرة

وقد كثر سؤال الناس إياي عن رأيي في الفتنتين ، وعاقبة الثورتين ، حتى انه جاءني في ذلك بعض الكتب من الشرق الادنى والغرب الاقصى ، فأما ثورة

فلسطين فقد فضحت أسرار اليهود ومكرهم ، وشوهت دسائس الانكليز وظلمهم ، وأيقظت شعور الجامعة الاسلامية ، وأحيت عصبية الأمة العربية ، ووحد المسلمون والنصارى لأول مرة في جميع البلاد التي يقيمون فيها من أوطانهم ومهاجرهم ، وأما اليهود فلم يتفقوا على تأييد الاوهام الصهيونية ، بل كثر المنكرون عليها ، إرضاء لأوطانهم التي يتمتعون بالنعيم فيها ، وقد شرعنا في كتابة مقال طويل في المسألة نشرنا الفصل الاول منه في هذا الجزء وسيأتي الرأي الناضج فيما بعده

وأما ثورة نجد فقوة الثائرين فيها لا تذكر تجاه قوة حكومة البلاد وقوة ملكها الديني والشخصي ، الذي عرف العالم من أمره في حادثة المحمل المصري ما كان مثار عجب وإعجاب ومدعاة ثناء وإطناب ، إذ خرج عبد العزيز آل سعود بلا سلاح مع بعض آل بيته فصاح بالنجديين وهم ثائرون ألفاً أو يزيدون ، وقد ثاروا للانتقام من حرس المحمل الذي أطلق النار عليهم فارعووا لأمر أميرهم فردهم بكلمة منه عما كان يتوقع من قطع دابر ذلك الحرس الضعيف ، بقوة ذلك الحشد النجدي الكثيف ، [illegible] على الجيش العثماني القوي الكثير

ثم ان هذه الثورة كانت [illegible] الحكم [illegible] السلطة الروحية له أو إزالتها من قومه ، وانها تماما [illegible] البلاد [illegible] وكما قدمنا في صدر هذا المقال ، ولكنه قضى على ما كان منها في داخل البلاد ، ولم يبق الا اللاجئون الى الكويت يعتصمون بحماية الانكليز لها ، ويستمدون الميرة والسلاح والكراع منها ، لولا عجزهم وخوفهم لما آووا اليها لعلمهم بأنه مقيد في المعاهدة بينه وبين الدولة البريطانية بعدم الاعتداء عليها ، على أنهما مقيدان معاً بأن لا يقع في البلاد الخاضعة لنفوذ كل منهما أي دعاية أو عمل عدائي للآخر . ولهذا يجب التفاوض بين الحكومتين في هذه المسألة قبل تحكيم السلاح فيها

وأنا لا أظن كما يظن الكثيرون ان الانكليز ينقضون عهدهم مع ملك الحجاز ونجد بما اعتادوا من تأويل العهود ، ونقض العقود ، واخلاف الوعود عند ما يرون ذلك من مصلحتهم ، إذ لا أظن ان هذا من مصلحتهم الآن . وأما الدسائس الخفية التي اشتهروا بها فلا أستطيع ان انفيها ولا ان أثبتها ، ومقتضاها القضاء على سلطان ابن السعود قبل استكمال قوته ، وتجديد وحدة العرب بحكمته ، فان لم يقدروا لم يكن لهم مندوحة عن استبقاء مودته ، والاكتفاء من الطمع في البلاد العربية بالمنافع الاقتصادية والادبية .